

مطرانية الأقباط الأرثوذكس

بالفيوم

دراسات وتأملات روحية

(6)

المحبة أساس البنيان

إعداد

نيافة الحبر الجليل

الأنبا ابرآم

أسقف الفيوم

المقدمة

في حديث الرب يسوع عن المحبة، جاء في الموعظة على الجبل: "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: نَحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنَيْكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضَيْكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لِأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرِ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ فَأَيُّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت 5 : 44 - 48).

كما قدم لنا السيد المسيح عدة نماذج عملية تبين محبته العظيمة لأولاده، فيقول القديس يوحنا في إنجيله: "وَكَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ مَرْتًا وَأُخْتَهَا وَلِعَازَرَ" (يو 11: 5). وعندما أرسلت الأختان إلى السيد المسيح قالتا: «يَا سَيِّدُ هُوَذَا الَّذِي نَحِبُّهُ مَرِيضٌ» (يو 11: 3). كما شهد السيد المسيح نفسه وقال لتلاميذه: «لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ تَامَ. لَكِنِّي أَذْهَبُ لِأَوْقَظَهُ» (يو 11: 11). كذلك شهد اليهود أنفسهم قائلين: «أَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ» (يو 11: 36).

كذلك يقول الإنجيل عن القديس يوحنا الحبيب: "وَكَانَ مُتَّكِنًا فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ" (يو 13: 23). ويقول أيضاً: "فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفًا قَالَ لِأُمِّهِ: «يَا امْرَأَةُ هُودَا ابْنُكَ»" (يو 19: 26).

هذا الكتاب هو مجموعة دراسات تأملية عن فضيلة المحبة كأساس لبنيان الحياة الروحية، وهى ضمن مجموعة محاضرات، القاها أبينا الحبيب نيافة الحبر الجليل الأنبا أبرام أسقف الفيوم، ورئيس دير الملاك غبريال بجبل النفلون، فى الاجتماع العام الأسبوعى، وبعض النهضات الروحية. وهو ينشر ضمن مجموعات كتابات، تقوم لجنة النشر بمطرائية الفيوم - من الآباء الكهنة والشمامسة والمكرسات والاخوات - بتفريغ هذه المحاضرات، وإعداد المادة العلمية للنشر، لكى يكون هناك استفادة من هذه المحاضرات القيمة، وذلك بمناسبة احتفال إيبارشية الفيوم باليوبيل الفضى لسيامة أبينا نيافة الحبر الجليل الأنبا ابرام أسقفًا لإيبارشية الفيوم (2 يونيه 1985 - 2 يونيه 2010م) طالبين من الرب أن يمنح نيافته موفور الصحة والقوة والنعمة فى خدمته المباركة. كما تشكر لجنة النشر كل من شارك فى إعداد هذا العمل، طالبين من الرب أن يعوض الجميع أجرًا سمائيًا.

لجنة النشر

الفصل الأول

مفهوم كلمة المحبة

توجد عدة ترجمات لمفهوم ومعنى كلمة المحبة، فنثلاً كلمة "محبة" في اللغة اليونانية التي كُتِب بها العهد الجديد وهي: - Agape αγάπη - وهذا المعنى في اللغة اليونانية وجدت فقط في الأدب الديني وهي مرتبطة بنشأة المسيحية الأولى. ومعنى أن الكلمة مرتبطة بالمسيحية أى مرتبطة بالمسيح بمعنٍ خاص فالمسيحية جاءت بمعنٍ خاص ومنفرد للمحبة ومن أجل ذلك جاءت بكلمة جديدة أيضاً. ولكي نتعرف علي معناها علينا أن نتعرف علي معنى المحبة في نظر السيد المسيح من خلال كلماته .

إن الجزء الرئيسي في حديث الرب عن المحبة قد جاء في الموعظة على الجبل فقد قال السيد المسيح "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِعَينِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لِأَنَّهُ

إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ فَأَيُّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت 5 : 44-48).

لذلك نرى في الآيات السابقة أن المحبة في المسيحية مصدرها هو الله نفسه كلى المحبة. لذا كان المعنى المسيحي للمحبة (أغابي) هو عمل الخير للجميع بدون تمييز. المحبة هي عدم طلب أي شيء مقابل المحبة. فالمحبة عمل الصلاح للجميع، ولا يهم كيف يعاملنا الآخرون، ولا يهم من هم الناس، ولا كيف يقابلون هذه المحبة.

إن المحبة في المسيحية هي من ثمار الروح القدس، لذا يأخذها كل مؤمن وقت عماده ومسحه بالروح القدس. تلك المسحة التي تعلمنا كل شيء، تعلمنا معنى المحبة وكيف نحب؟. إنها تملأ قلوبنا من المحبة المسيحية الحقّة، فعلى الإنسان إن يحافظ على استمرار عمل الروح القدس الذي وهب له وقت العماد حتى لا يفقد ثمرته. فقد كتب الرسول بولس: "مَحَبَّةُ اللَّهِ قَدْ انْصَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا" (رو 5 : 5) .

المحبة المسيحية تتبين وتظهر خلال محبة المسيح التي قُدمت لنا من خلال آلامه، فهي محبة نستقى منها محبتنا لله نفسه وللنفس

أجمعين. إن تلك الآلام لم تكن لأجل فئة معينة بل للعالم أجمع كما قال السيد المسيح بفمه المبارك: "لأنَّه هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو 3 : 16).

المحبة المسيحية ما هي إلا حضور الرب يسوع في قلب المؤمن لأن يسوع وحده هو المحبة. فإن لم يكن السيد المسيح هو مصدر هذه المحبة وإن لم يكن الروح القدس هو ينبوعها فهي محبة ذاتية أرضية غير مرضية أمام الآب السماوى مهما كانت صورها الخلقية غاية في الرقى والإنسانية. فمحبة المسيح هي النموذج والمثال لعلاقات المسيحيين بعضهم مع بعض، ومع كافة البشر جميعاً. لذلك نقول أن محبة المسيح هي الضابطة لحياة المسيحيين "لأنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا" (2كو 5: 14). فالإنسان المسيحي يكون مدفوعاً لعمل الخير ليس بسبب الخوف بل بالتزام المحبة.

إن المحبة المسيحية هي أعظم الفضائل كما قال الرسول بولس "أَمَّا الْآنَ فَيَثْبُتُ الْإِيمَانُ وَ الرَّجَاءُ وَ الْمَحَبَّةُ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَلَكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ" (1كو 13 : 13). ومن خلالها نتم كل الفضائل والوصايا والناموس. فقد قال السيد المسيح عن وصية المحبة: "الله وللقرىب بهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ" (مت 22 : 40).

المحبة في المسيحية هي رباط الكمال هي غاية المسيح وغاية المسيحية وغاية الوصية "وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلَا رِيَاءٍ" (1 تي 1 : 5).

المحبة هي مناخ الحياة المسيحية، بل هي الباعث الشامل لكل الحياة المسيحية، وهي سر الوحدة المسيحية، وهي إعلان للحق المسيحي، والباعث والمحرك للتعليم والوعظ لكل خدمة وعمل داخل أو خارج الكنيسة. كما أن المحبة هي ضابط للحرية المسيحية، فحریتنا المسيحية نستقيها من المحبة كما قال القديس بولس: "لِذَلِكَ إِنْ كَانَ طَعَامٌ يُعْزِرُ أَخِي فَلَنْ آكُلَ لَحْمًا إِلَى الْأَبَدِ لئَلَّا أُعْزِرَ أَخِي" (1كو 8 : 13).

إن معنى المحبة في المسيحية تختلف عن معنى المحبة عند الفلاسفة أو عند أصحاب الديانات الأخرى. فالمحبة في المسيحية مصدرها الله ومحبه للبشرية... المحبة في المسيحية لا تميز ولا تُفرق بين البشر... لا تُفرق بين عدو وصديق، ولا بين قريب وبعيد، ولا بين مسيحي وغير مسيحي... ولا بين أبيض وأسود، أو رجل وأمرأة. فالمحبة في المسيحية لا تعتمد علي العوامل الخارجية بل تعتمد علي القلب، تعتمد علي الروح القدس الذي بداخلنا، وعلى عمل الله لنا. يقول السيد المسيح: "وَإِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضًا يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ ... بَلْ أَحْبَبُوا أَعْدَاءَكُمْ

وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجُونَ شَيْئاً فَيَكُونُ أَجْرُكُمْ عَظِيماً وَتَكُونُوا بَنِي الْعَالِيِّ فَإِنَّهُ مُنْعَمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالْأَشْرَارِ" (لو 6 : 32، 35).

المحبة في المسيحية تصل إلي حد البذل والعطاء دون مقابل "وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجُونَ شَيْئاً" (لو 6 : 35). كما تصل إلي حد الآلم، إلى حد الاستشهاد من أجل من نحب دون النظر إلى مقابل نأخذه. فالمحبة هي عطاء دون آخذ.

❖ المعنى العام لكلمة المحبة

يوجد أيضاً كلمة ثانية للمحبة وهي " - *Philia* - *φιλία* " مثلما نقول "فيلوباتير" بمعنى "محب أبيه" أو نقول: "فيلو سوفيا" بمعنى: "محب الحكمة" ومنها أخذت كلمة "فلسفة". وهذه الكلمة هي أعلى كلمة تعبر عن الألفة والصدقة في اللغة اليونانية. وهي أيضاً تعبر عن العلاقات الزوجية كما تعبر عن العلاقات الروحية والعقلية، فهي تشمل النواحي الجسدية أيضاً للمحبة. لكن هذه المحبة وقتية لأنها تعتمد علي الحواس فالجمال والجسد والمال حتي والصدقة غالباً لا تدوم، فهي متغيرة، وهذا عكس المحبة المسيحية التي هي قوية كالموت مياه كثيرة لا يمكن أن تطفئها .

❖ المعنى الأسرى لكلمة المحبة:

يوجد أيضاً معنى ثالث في اللغة اليونانية للمحبة وهو " storge " وهي تعبر في الأدب اليوناني عن الحب الأسري الذي يتمثل في محبة الوالدين لأبنائهم، وحب الأولاد لوالديهم، ومحبة الإخوة لإخوتهم . ومحبة العائلة والعشيرة والقبيلة كل منها للأخرى.

❖ المعنى الرابع للمحبة هو " Eros ":

هي تفيد الحب الجنسي بين الرجل والمرأة وتعبر عن الجانب الجسدي للمحبة بين كليهما. هذه الكلمة لم تظهر في العهد الجديد قط ..ليس لأن العهد الجديد يرفض أو يحتقر الحب الجسدي ..ولكن لأنه في العهد الجديد يرتبط هذا الحب الجسدي بالشهوة ولا يُطلق عليه حب بل شهوة. لذلك فأن كلمة "eroc" لا تفيد المحبة. هذا النوع هو الحب الجسدي، الحب الذاتي المتمركز حول الأنا، هو عشق للذات. لذلك فأن هذا النوع من

الفصل الثاني

وصية المحبة في الكتاب المقدس

وصية المحبة قديمة منذ خلق الإنسان لأن الله محبة وليس عنده تغيير ولا ظل يدور. فهو محبة منذ الأزل وإلى الأبد. لذا نجد وصية المحبة لله وللقریب كانت هي أول الوصايا في الوصايا العشرة. كما كانت هي الوصية الأولى التي قال عنها السيد المسيح، والقديس بولس الرسول صنفها بأعظم الفضائل. وكان تركيز القديس يوحنا الحبيب في إنجيله كما في رسائله كان تركيزه على وصية المحبة فدعونا نتأمل ولو قليلاً في وصية المحبة :

i. وصية المحبة في الكتاب المقدس

أولاً : وصية المحبة في العهد القديم

- " لَا تَتَنَقَّمْ وَلَا تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ " (لا 19: 18).

- " كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمْ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ . أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ " (لا 19 : 34).
- " فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ " (تث 6 : 5).
- "الصَّانِعُ حَقَّ الْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ وَالْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا" (تث 10 : 18) .
- " فَاحْبُوبُوا الْغَرِيبَ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ " (تث 10 : 19).
- " فَاحْبِبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ وَاحْفَظْ حُقُوقَهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ وَوَصَايَاهُ كُلَّ الْأَيَّامِ " (تث 11 : 1).
- " فَإِذَا سَمِعْتُمْ لَوْصَايَايَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ وَتَعْبُدُوهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ " (تث 11 : 13).
- "لَأَنَّهُ إِذَا حَفِظْتُمْ جَمِيعَ هَذِهِ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا لِتَعْمَلُوهَا لِتُحِبُّوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ وَتَسْلُكُوا فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ وَتَلْتَصِقُوا بِهِ " (تث 11 : 22).
- "بِمَا أَنِّي أُوصَيْتُكَ الْيَوْمَ أَنْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ وَتَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ لِيَحْيَا وَتَنْمُو وَيُبَارِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا " (تث 30 : 16) .

- "إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ وَتَسْمَعُ لَصَوْتِهِ وَتَلْتَصِقُ بِهِ لِأَنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ وَالَّذِي يُطِيلُ أَيَّامَكَ لِتَسْكُنَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لِأَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ إِيَّاهَا" (تث 30 : 20).
- "فَاحْتَفِظُوا جِدًّا لِأَنفُسِكُمْ أَنْ تُحِبُّوا الرَّبَّ إِلَهُكُمْ" (يش 23 : 11)
- "هَكَذَا يَبِيدُ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ يَا رَبُّ. وَأَحِبَّاهُ كَخُرُوجِ الشَّمْسِ فِي جَبَرُوتِهَا». وَاسْتَرَاخَتِ الْأَرْضُ أَرْبَعِينَ سَنَةً" (قض 5 : 31).
- "لَا تَنْتَفِعْ وَلَا تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ بَلْ تُحِبِّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ" (لا 19 : 18).
- "كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمْ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ" (لا 19 : 34).
- " فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ" (تث 6 : 5).
- " فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ مَاذَا يَطْلُبُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ إِلَّا أَنْ تَنْتَفِيَ الرَّبَّ إِلَهَكَ لِتَسْلُكَ فِي كُلِّ طَرْقِهِ وَتُحِبَّهُ وَتَعْبُدَ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ" (تث 10 : 12) .

ثانياً : في الأناجيل الأربعة

- " أَكْرِمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مت 19:19).
- فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكَرِكَ" (مت 22 : 37).

- "وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (مت 22: 39).
- "وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (يو 13: 34).
- "هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُمْ" (يو 15: 12).
- "بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَتَلَمَّذُونِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ" (يو 13: 35).
- "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (مت 5: 44) ، (لو 6: 27).
- "وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لِأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّدَابَ وَكُلَّ بَقْلِ وَتَتَجَاوَرُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرَكُوا تِلْكَ!" (لو 11: 42) .
- "بِهَذَا أُوصِيكُمْ حَتَّى تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (يو 15: 17).
- "لَا تَنْتَقِمُوا لِأَنفُسِكُمْ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِي النِّقْمَةُ أَنَا أَجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ" (رو 12: 19) .
- "لَا تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لِأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلَّا بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ" (رو 13: 8).
- "لِأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ أَجْرِ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟" (مت 5: 46).

- "وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ لِأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّدَابَ وَكُلَّ بَقْلٍ وَتَتَجَاوَرُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرَكُوا تِلْكَ!" (لو 11 : 42) .

ثالثاً : وصية المحبة فى الرسائل

- "لِنَصِرْ كُلَّ أُمُورِكُمْ فِي مَحَبَّةٍ" (1كو 16 : 14).
- "وَأَدِّينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَحَبَّةِ الْأَخَوِيَّةِ مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكَرَامَةِ" (رو 12 : 10) .
- "اتَّبِعُوا الْمَحَبَّةَ وَلَكِنْ جِدُوا لِلْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ وَبِالْأَوَّلَى أَنْ تَتَّبِعُوا" (1كو 14 : 1).
- "أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَ اتَّبِعِ الْبِرَّ وَ الْإِيمَانَ وَ الْمَحَبَّةَ وَ السَّلَامَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ" (2تي 2 : 22) .
- "وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِنْسَانَ اللَّهِ فَاهْرُبْ مِنْ هَذَا، وَاتَّبِعِ الْبِرَّ وَالنُّفُوزَ وَالْإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالصَّبْرَ وَالْوَدَاعَةَ" (1تي 6 : 11) .
- "لَا يَسْتَنْهِنُ أَحَدٌ بِحَدَاثِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلَامِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الْإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ" (1تي 4 : 12) .
- "تَمَسَّكْ بِصُورَةِ الْكَلَامِ الصَّحِيحِ الَّذِي سَمِعْتَهُ مِنِّي، فِي الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (2تي 1 : 13) .

- " أَنْ يَكُونَ الْأَشْيَاخُ صَاحِبِينَ، ذَوِي وَقَارٍ، مُتَعَقِّلِينَ، أَصِحَّاءَ فِي الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالصَّبْرِ " (تي 2 : 2) .

"وَلِنَلَاظِ بَعْضُنَا بَعْضًا لِلتَّخْرِيسِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ" (عب 10: 24) .

"لِتَنْبُتِ الْمَحَبَّةُ الْأَخَوِيَّةُ" (عب 13 : 1) .

- "وَالنَّهَائِيَّةُ، كُونُوا جَمِيعًا مُتَّحِدِي الرَّأْيِ بِحَسِّ وَاحِدٍ، ذَوِي مَحَبَّةٍ أَخَوِيَّةٍ، مُشْفِقِينَ، لُطْفَاءَ " (1بط 3 : 8) .

- "وَلَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لِيَكُنْ مَحَبَّتُكُمْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَتَ خَطَايَا" (1بط 4 : 8) .

- "وَفِي التَّقْوَى مَوَدَّةً أَخَوِيَّةً، وَفِي الْمَوَدَّةِ الْأَخَوِيَّةِ مَحَبَّةٌ" (2بط 1 : 7) .
- "وَاحْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ، مُنْتَظِرِينَ رَحْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ" (يه 1 : 21) .

- "سَلِّمُوا بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةِ الْمَحَبَّةِ. سَلَامٌ لَكُمْ جَمِيعَكُمْ الَّذِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. آمِينَ" (1بط 5 : 14) .

- "بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ" (اف 4 : 2) .

- "أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ. أَحْبِبُوا الْإِخْوَةَ. خَافُوا اللَّهَ. أَكْرِمُوا الْمَلِكَ" (1بط 2 : 17) .

- "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضاً أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً" (1يو4: 11) .

ii. مصدر المحبة هو الله نفسه.

المحبة مصدرها الله نفسه. فكل عطية وموهبة هي من الآب في السيد المسيح بالروح القدس. فالمحبة نأخذها من مصدرها وهو الله المحبة، وتنمو في داخلنا بالتوبة، ومغفرة الله لنا، وتصالحه معنا .

المحبة وفعل الروح القدس

الكتاب المقدس أوضح في أكثر من موقع من أسفار الكتاب المقدس أن الله محبة من خلال الآيات والأفعال. بل كل ما حولنا من طبيعة ونباتات وحيوانات توضح محبة الله بل وتعاملات الله معنا كل يوم ستره علينا، وحفظه لنا وتسامحه معنا والكثير من الأدلة الأخرى التي تثبت أن الله محبة. والروح القدس يسكب المحبة داخل النفس، وهذا ما يتضح من قول الكتاب: "لَأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ قَدْ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا" (رو5: 5).

كذلك نرى المحبة هي أول ثمار الروح كما قال القديس بولس الرسول: "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلَامٌ" (غل 5: 22). كما قال أيضاً لكنيسة كولوسي: "الَّذِي أَخْبَرَنَا أَيْضاً بِمَحَبَّتِكُمْ فِي الرُّوحِ"

(كو 1: 8). فالروح القدس هو مصدر المحبة لأنه هو الذي يعلمنا إياها ويرشدنا إليها ونأخذها منه من في سر المعمودية والمسحة المقدسة، لذا ارتبطت المسيحية بالمحبة.

حياة وتعاليم السيد المسيح عن المحبة

محبة المسيح لنا هي أهم المصادر التي نستقي منها محبتنا لله ومحبتنا للغير. فالكتاب المقدس يقول علي لسان القديس بولس الرسول: "وَأَسْأَلُكُمْ فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لَأَجْلِنَا" (اف 5: 2). ويقول القديس يوحنا: "فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحِبُّنَا اللَّهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (1يو 4: 10). كذلك يقول: "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضاً أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً" (1يو 4: 11). وأيضاً: "نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلًا" (1يو 4: 19).

فمن الآيات السابقة يتضح أن محبة المسيح هي مصدر محبتنا وعلة لها. فالإنسان عندما يفكر في آلام المسيح وكيف تحمل الصليب والمسامير والجلد والتعبير والاستهزاء حباً به سوف يكون ذلك مصدراً كبيراً يدفعه إلي محبة الله.

كذلك أي إنسان يتأمل في تسامح السيد المسيح مع صالبيه وكلمته الشهيرة رغم الألام الجسدية والنفسية وهو علي عود الصليب

"فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبْنَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ»" (لو 23: 34). سيكون له ذلك مصدراً من مصادر المحبة للقريب والبعيد للأعداء قبل الأصدقاء. حقاً قال القديس بولس الرسول: "لأنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا" (2كو 5: 14). فكل تعاليم وأحداث الكتاب المقدس تنصب في المحبة، محبة الله للإنسان ومحبة الإنسان لله ولقريبه الإنسان.

هناك كثير من الوصايا والتعاليم الكثيرة في العهدين تحت على هذه المحبة لذا فإن تعاليم الله في الكتاب هي من أهم المصادر للمحبة لذا نجد القديس بولس يقول: "وَأَمَّا الْمَحَبَّةُ الْأَخَوِيَّةُ فَلَا حَاجَةَ لَكُمْ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا، لِأَنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ مُتَعَلِّمُونَ مِنْ اللَّهِ أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً" (1تس 4: 9). وفي مكان آخر يقول الكتاب "وَالرَّبُّ يَهْدِي قُلُوبَكُمْ إِلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَإِلَى صَبْرِ الْمَسِيحِ" (2تس 3: 5). كذلك يقول: "لأنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَسْلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَ الْمَحَبَّةِ وَ النُّصْحِ" (2تي 1: 7).

كما يقول القديس يوحنا الحبيب: "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللَّهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ وَيَعْرِفُ اللَّهَ" (1يو 4: 7). إن الحب يزيد من الارتباط بالله الذي يدفعنا لحياة الحب القوية حتى نصل إلي قمة المحبة الحقيقية التي لا تسقط أبداً حتى في الأبدية.

المحبة ومغفرة الله لنا

من أهم المصادر الشخصية التي تؤثر فينا وتحثنا علي محبة الله والقريب، مغفرة الله الشخصية لنا على مر حياتنا التي نحياها على الأرض. فالإنسان عندما يتأمل ويفكر كم مرة اعترف وقدم توبة، وكم مرة غفر له الله وقبلة وأعطاه جسده ودمه. في ذلك نتذكر ماذا كان شعور الابن الضال عندما غفر له أبوه وقبلة؟ هذا الذي كان لا يتعشم في أكثر من أن يكون أجيراً، فوجد أبيه في استقباله مجهزاً له له العجل المثلث والحلة الأولى وخاتمه الخاص. كم من الحب يمكن أن يحب ذلك الابن أبيه مقابل محبة أبيه وغفرانه له وقبولة إياه.

إن السيد المسيح عندما دافع عن المرأة الخاطئة في بيت سمعان بعد أن سأل سمعان عن أمر المديونين وأيهما يكون أكثر حباً لسيده، أوضح بعد ذلك قائلاً: "وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلًا" (لو 7: 47). لقد ربط المحبة بمغفرة الخطية قائلاً: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لِأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا" (لو 7: 47). فمحبة الله ومحبتنا لله، تجعله يغفر لنا الخطايا. كما أن مغفرة الله لنا تزيدنا حباً به وله.

إن مغفرة الله لنا يجب أن تكون مصدراً أساسياً لمحبتنا لكل إنسان. فكما غفر لنا المسيح يجب أن نغفر لمن يسيئ إلينا. ليس كما فعل

وشجاعة. هذا ما يكون محور تأملنا في هذا الفصل، وذلك على النحو التالي.

1. المحبة تمنحنا سلاماً

المحبة والسلام وجهان لعملة واحدة بل تكادان أن تكونا وجهاً واحداً. حتى نحن عندما نسلم بعضنا علي بعض نقول (سلام) أو (أغابي) بمعنى محبة. فعندما تُحب أحداً ذلك يعنى أن بينكما سلام.

كذلك محبتنا لله، ومحبة الله لنا، يمنحنا سلام لأن الله الذي نحبه ويحبنا هو إله السلام. وكثيراً ما أطلق عليه إله السلام: " وَمَا نَعْلَمْنَاهُ، وَتَسَلَّمْنَاهُ، وَسَمِعْنَاهُ، وَرَأَيْنَاهُ فِيَّ، فَهَذَا أَفْعَلُوا، وَإِلَهُ السَّلَامِ يَكُونُ مَعَكُمْ" (في 4: 9)، (رو 15: 33)، (عب 13: 20)، (رو 16: 20). ورب السلام: " وَرَبُّ السَّلَامِ نَفْسُهُ يُعْطِيكُمْ السَّلَامَ دَائِماً مِنْ كُلِّ وَجْهِ. الرَّبُّ مَعَ جَمِيعِكُمْ" (2تس 3: 16).

كما أن الوحي في العهد القديم يعلمنا قائلاً: " حَبِيبُ الرَّبِّ يَسْكُنُ لَدَيْهِ أَمِناً. يَسْتُرُهُ طُولُ النَّهَارِ وَيَبِينُ مِنْكَبَيْهِ يَسْكُنُ" (تث 33: 12)، "بَاطِلٌ هُوَ لَكُمْ أَنْ تُبَكِّرُوا إِلَى الْقِيَامِ مُؤَخَّرِينَ الْجُلُوسَ آكِلِينَ خُبْزَ الْأَثْعَابِ. لَكِنَّهُ يُعْطِي حَبِيبَهُ تَوْماً" (مز 127: 2).

كذلك نجد تتابع المحبة والسلام في الكتاب المقدس، فالسلام نتيجة أكيدة للمحبة. فنجد السلام والمحبة مشتركان كثمرة من ثمار الروح القدس: "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلَامٌ، طُولُ أُنَاةٍ لُطْفٌ صَلَاحٌ، إِيْمَانٌ" (غل 5: 22). كما يربطهما ببعضهما القديس بولس الرسول عندما: "لِتَكْثُرْ لَكُمْ الرَّحْمَةُ وَالسَّلَامُ وَالْمَحَبَّةُ" (يه 1: 2). ويقول أيضاً: "سَلَامٌ عَلَى الْإِخْوَةِ، وَمَحَبَّةٌ بِإِيْمَانٍ مِنَ اللَّهِ الْآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (اف 6: 23). كما يوصي قائلاً: "أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَ اتَّبِعِ الْبِرَّ وَ الْإِيْمَانَ وَ الْمَحَبَّةَ وَ السَّلَامَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ" (2تي 2: 22).

المحبة التي تحتل كل شئ وترجو كل شئ وتصدق كل شئ من المؤكد أن صاحبها يكون قلبه مملوء سلاماً وأماناً واطمئناناً.

2. المحبة تمنحنا رجاءً

من صفات المحبة أنها ترجوكل شئ فالإنسان الذي يحب الله ويثق في محبة الله بالتأكيد يثق في مواعيد الله ويثق أيضاً في كلامه وفي ملكوته. يثق في قبول الله لتوبته كما انه يجاهد في رجاء في عدم خوف حتى ولو كان لديه بعض الضعفات فهو يثق في محبة الله وفي قدرته على أن يخلصه منها.

الإنسان المحب لله الواثق في محبة الله يثق أنه يريد الخلاص لجميع الناس ولا يشاء موت الخاطئ. لذلك نجده دائماً يجاهد ولا ييأس بل يترجى دائماً مراحم الله.

الإنسان الذي يثق في محبة الله وقدرته فانه ينظر إلي أعمال الله نجده يمتلئ رجاء. الله القادر على الخلاص من أتون النار ومن جب الأسود ومن جيش وعبودية فرعون. الله القادر أن يقيم الميت بعد أربعة أيام ويشفي الأعمى منذ ولادته والمريض ذا الثماني والثلاثين والنازفة التي لها اثني عشر عاماً تقاسي من الأمراض. من المؤكد أن إنساناً يثق في محبة هذا الإله يمتلئ قلبه رجاء مهما كانت الضيقات أو التجارب والأمراض. بل إن الإنسان الذي يثق في محبة الله نجد لسان حاله يقول: "كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوعُونَ حَسَبَ قَصْدِهِ" (رو 8: 28). ولو مر بضيق لا تريد أن تنتهي نجد لسان حاله يقول: "أَمِينَةٌ هِيَ جُرُوحُ الْمُحِبِّ وَغَاشَّةٌ هِيَ قُبُلَاتُ الْعَدُوِّ" (ام 27: 6).

3. المحبة تمنحنا فرحاً وسعادة

إن الإنسان المحب للآخرين الذي لا يحسدهم تجده يفرح لفرح الآخرين ويشاركهم أفراحهم وسعادتهم كما يقول الكتاب "فَرَحاً مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءً مَعَ الْبَاكِينَ" (رو 12: 15) وكما يقول المرتل في

المزمور: "لَأَرَى خَيْرَ مُخْتَارِكَ. لَأَفْرَحَ بِفَرَحِ أُمَّتِكَ. لَأَفْتَحَرَ مَعَ مِيرَاتِكَ" (مز 106: 5). وكما يقول الرسول أيضاً: "وَأِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكْرَمُ فَجَمِيعُ الْأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ" (1كو 12: 26).

ذلك الإنسان المحب تجده يفرح بتوبة الخاطئة وتقدم المؤمنين في حياتهم الروحية ومواهب القديسين. فالإنسان الذي يحب الله يفرح بوجود الله معه فهو مصدر فرحه كما يفرح بوجوده هو أما م الله في بيته "فَرِحْتُ بِالْقَائِلِينَ لِي: إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ نَذْهَبُ" (مز 122: 1). يفرح بحديثه مع الله في الصلاة، وسماعه أثناء مطالعته للكتاب المقدس، فيقول: "وَجِدَ كَلَامُكَ فَأَكَلْتُهُ فَكَانَ كَلَامُكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي لِأَنِّي دُعِيتُ بِاسْمِكَ يَا رَبُّ إِلَهَ الْجُنُودِ" (ار 15: 16). ليس هناك فرح يضاهي الفرح بروية الرب: "وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنَّبَهُ فَفَرِحَ التَّلَامِيذُ إِذْ رَأَوْا الرَّبَّ" (يو 20: 20). الروية بالنسبة لنا تكون على المستوى الروحي خلال الصلاة والتأمل وحالات الثيوريا التي وصل إليها آباؤنا القديسون. فرح بالتعزية خلال تلك الممارسات الروحية. فرحاً بالدموع الروحية التي تنسكب من قلوبنا قبل عيوننا بفعل الروح القدس الذي يعمل فينا خلال الحب.

الإنسان المحب لله يتكل عليه فيبتهج ويفرح به: "وَيَفْرَحُ جَمِيعُ الْمُتَكَلِّينَ عَلَيْكَ. إِلَى الْأَبَدِ يَهْتَفُونَ وَنُظَلِّلُهُمْ. وَيَبْتَهِجُ بِكَ مُحِبُّو اسْمِكَ" (مز 5: 11). كذلك الفرح بالرب وفي الرب يكون نتيجة محبتنا للرب:

افرحوا في الربِّ كُلَّ حِينٍ وَأَقُولُ أَيْضاً اْفْرَحُوا" (في 4: 4). يفرح
 بالخير الذي يجيئ له من الله، ويفرح بالملكوت الذي ينتظره، متنبهاً
 لقول الكتاب: "وَلَكِنْ لَا تَفْرَحُوا بِهَذَا أَنَّ الْأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ بَلِ اْفْرَحُوا
 بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ" (لو 10: 20). كذلك يفرح
 حتى بالألم والضيقة كما حدث مع التلاميذ: "وَأَمَّا هُمْ فَذَهَبُوا فَرِحِينَ
 مِنْ أَمَامِ الْمَجْمَعِ لِأَنَّهُمْ حُسِبُوا مُسْتَأْهِلِينَ أَنْ يُهَانُوا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ"
 (اع 5: 41). وكما يقول الرسول بولس: "الَّذِي الْآنَ اْفْرَحُ فِي الْآمِي
 لِأَجْلِكُمْ، وَأَكْمَلُ ثِقَاتِي شِدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لِأَجْلِ جَسَدِهِ: الَّذِي
 هُوَ الْكَنِيسَةُ" (كو 1: 24).

المحبة وحدها قادرة أن تحول كل الأمور إلى فرح. فما حدث مع
 آبائنا الشهداء والقديسين جعلهم: "فَرِحِينَ فِي الرَّجَاءِ صَابِرِينَ فِي
 الضَّرِّ يَبْقِي مُوَظِّبِينَ عَلَى الصَّلَاةِ" (رو 12: 12). نفرح أيضاً حتى في
 الحزن: "كَحَزَانِي وَنَحْنُ دَائِماً فَرِحُونَ" (2كو 6: 10).

الإنسان الروحي يفرح بأعمال الله معه قائلاً: "عَظَّمَ الرَّبُّ الْعَمَلَ
 مَعَنَا وَصِرْنَا فَرِحِينَ" (مز 126: 3). وكما يقول يوثيل النبي: "لَا تَخَافِي
 أَيُّهَا الْأَرْضُ. ابْتَهِجِي وَافْرَحِي لِأَنَّ الرَّبَّ يُعَظِّمُ عَمَلَهُ... وَيَا بَنِي
 صِهْيُونَ ابْتَهِجُوا وَافْرَحُوا بِالرَّبِّ إِلَهُكُمْ لِأَنَّهُ يُعْطِيكُمْ الْمَطَرَ الْمُبَكَّرَ عَلَى
 حَقِّهِ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مَطَرًا مُبَكَّرًا وَمُتَأَخِّرًا فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ" (يو 2: 21،
 23).

إن الإنسان المحب لله وللآخرين يفرح في كل شئ وبكل شئ. يفرح بامرأته: "لِيَكُنْ يَنْبُوعُكَ مُبَارَكًا وَأَفْرَحُ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ" (ام 5: 18). يفرح بأولاده، ويفرح حتي بالأشياء الطبيعية، ويكون دائماً فرحاً. كذلك لا يفرح فقط بتوبته وخلصه من الخطية التي تبعد الفرح عنه. بل ويفرح أيضاً بحياة القداسة والطهارة مصدر كل الأفراح. يفرحوا بنصرتهم علي أعدائهم من عند الله: "لِيَرْجِعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ بِفَرَحٍ لِأَنَّ الرَّبَّ فَرَّحَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ" (2 أخبار 20: 27).

كما أن هناك فرح آخر خاص بالخدمة والخدام. فالخدمة تعنى المحبة. محبة الله، ومحبة لأولاده الذين نخدمهم. توجد أفراح كثيرة مرتبطة بالخدمة، كالفرح بعمل الله معنا أثناء خدمتنا، والفرح بعمل الله في نجاح الخدمة، والفرح بتوبة المخدمين ونموهم الروحي. كذلك هناك فرح أيضاً بسبب محبة الآخرين كما يقول القديس بولس الرسول: "لَأَنَّ لَنَا فَرَحًا كَثِيرًا وَتَعَزِيَةً بِسَبَبِ مَحَبَّتِكَ، لِأَنَّ أَحْشَاءَ الْقَدِيسِينَ قَدْ اسْتَرَاخَتْ بِكَ أَيُّهَا الْأَخُ" (فل 1: 7). بل إن الإنسان الذي يحب الله يفرح حتي عند موته كما يقول الكتاب عن موت طوبيا: "وبعد أن أستموى تسعاً و تسعين سنة في مخافة الرب دفن بفرح" (طوبيا 14: 16).

كما أن سفر المزامير ملئ بعبارات الفرح بالرب وفي الرب: "أَفْرَحُ وَأَبْتَهِجُ بِكَ. أُرْتَمِّ لِسْمِكَ أَيُّهَا الْعَلِيُّ" (مز 9: 2). "لِيَبْتَهِجُ وَيَفْرَحُ بِكَ

جَمِيعُ طَالِبِيكَ. لِيَقُلْ أَبَدًا مُحِبُّو خَلَاصِكَ: يَتَعَزَّمُ الرَّبُّ" (مز 40: 16).
 وقول: "فَاتِي إِلَى مَذْبَحِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ بِهَجَةٍ فَرَحِي وَأَحْمَدُكَ بِالْعُودِ يَا اللَّهُ
 إِلَهِي" (مز 43: 4). "أَبْتَهْجُ وَأَفْرَحُ بِرَحْمَتِكَ لِأَنَّكَ نَظَرْتَ إِلَيَّ مَذَلَّتِي
 وَعَرَفْتَ فِي الشَّدَائِدِ نَفْسِي" (مز 31: 7). ويقول أيضاً: "افْرَحُوا بِالرَّبِّ
 وَابْتَهِجُوا يَا أَيُّهَا الصَّدِيقُونَ وَاهْتَفُوا يَا جَمِيعَ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ"
 (مز 32: 11). كذلك يقول: "لَأَنَّهُ بِهِ تَفْرَحُ قُلُوبُنَا لِأَنَّنَا عَلَى اسْمِهِ
 الْقُدُّوسِ اتَّكَلْنَا" (مز 33: 21). وأيضاً: "بِالرَّبِّ تَفْتَخِرُ نَفْسِي. يَسْمَعُ
 الْوَدْعَاءُ فَيَفْرَحُونَ" (مز 34: 2) "أَمَّا نَفْسِي فَتَفْرَحُ بِالرَّبِّ وَتَبْتَهِجُ
 بِخَلَاصِهِ" (مز 35: 9). "أَسْمِعْنِي سُرُورًا وَفَرَحًا فَتَبْتَهِجْ عِظَامُ سَحَقَتِهَا"
 (مز 51: 8). ويقول: "لَيْتَ مِنْ صِهْيُونِ خَلَاصَ إِسْرَائِيلَ. عِنْدَ رَدِّ اللَّهِ
 سَبِي شَعْبِهِ يَهْتَفُ يَغُفُّ وَيَفْرَحُ إِسْرَائِيلُ" (مز 53: 6). كذلك يقول: "أَمَّا الْمَلِكُ فَيَفْرَحُ بِاللَّهِ. يَفْتَخِرُ كُلُّ مَنْ يَحْلِفُ بِهِ. لِأَنَّ أَفْوَاهَ الْمُتَكَلِّمِينَ
 بِالْكَذِبِ تُسَدُّ" (مز 63: 11). وأيضاً: "يَفْرَحُ الصَّدِيقُ بِالرَّبِّ وَيَحْتَمِي بِهِ
 وَيَبْتَهِجُ كُلُّ الْمُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ" (مز 64: 10). كذلك: "وَالصَّدِيقُونَ
 يَفْرَحُونَ. يَبْتَهِجُونَ أَمَامَ اللَّهِ وَيَطْفِرُونَ فَرَحًا" (مز 68: 3). "يَرَى ذَلِكَ
 الْوَدْعَاءُ فَيَفْرَحُونَ وَتَحِيَّا قُلُوبُكُمْ يَا طَالِبِي اللَّهِ" (مز 69: 32). ويقول
 السفر أيضاً: "وَلْيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ كُلُّ طَالِبِكَ وَلِيَقُلْ دَائِمًا مُحِبُّو
 خَلَاصِكَ: لِيَتَعَزَّمُ الرَّبُّ" (مز 70: 4). وأيضاً: "افْرَحُوا أَيُّهَا الصَّدِيقُونَ
 بِالرَّبِّ وَاحْمَدُوا ذِكْرَ قُدْسِهِ" (مز 97: 12). وقوله: "اعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ.
 ادْخُلُوا إِلَى حَضْرَتِهِ بِتَرْنِيمٍ" (مز 100: 2).

4. المحبة تمنحنا قوة وشجاعة

المحبة ليس معناها الضعف والاستسلام، بل القوة والشجاعة. فالقلب الذي يحب الله ويحب الناس نجده لا يخاف. لا يخاف الله الذي يحبه بل يهابه ويحترمه مهابه الابن لأبيه، وليس خوف العبد من سيده. ولا يخاف الناس الذي يحبهم ويحبونه. ولا يخاف الوحوش لثقتهم في محبة خالقها. قلبه المطمئن والمحب لا توجد به مخاوف. وفي هذا قال القديس الأنبا أنطونيوس: "أنا لا أخاف الله لأنني أحبه". كما قال الكتاب المقدس: "لَا خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لِأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ" (1يو 4: 18). إن الإنسان المحب لله لا يفعل شيئاً يُغضب الله سواء خطية أو تعدى. فالإنسان المحب للناس لا يفعل شيئاً يُغضبهم. مثل هذا الإنسان يكون نقي القلب. والقلب النقي الخالي من الخطية قلب قوى وشجاع.

الفصل الثالث

الله الثالث كلى المحبه

لقد شهد الكتاب المقدس أن لَأَنَّ اللهَ مَحَبَّةً. (1يو 4 : 8) حتي أنه قال "وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ" (1يو 4 : 8) وعلى نفس المعنى " وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُحِبُّ اللَّهَ فَهَذَا مَعْرُوفٌ عِنْدَهُ. (1كو 8 : 3) وقال أيضاً: "وَمَنْ يَنْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَنْبُتْ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ فِيهِ. (1يو 4 : 16). وقد شهد الكتاب أيضاً عن الله أنه: "أَخِيرًا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَفْرَحُوا. اكْمَلُوا. تَعَزَّوْا. اهْتَمُّوا اهْتِمَامًا وَاحِدًا. عِيشُوا بِالسَّلَامِ، وَإِلَهُ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ سَيَكُونُ مَعَكُمْ." (2كو 13 : 11). فهناك أوجه كثيرة توضح أن الله محبة ومنها:

❖ وحدة الأقانيم فى الثالث.

خير دليل علي أن الله محبة عقيدة الثالث القديس الذي نؤمن بها. فلو كان الله شخصاً غير الثالث مثل أن يكون فرداً صمد فأين هى ديناميكية الحب؟! من كان يحب ذلك الكائن الفرد الصمد قبل أن

يخلق أي شيئاً؟! . ففي تجسد الابن الكلمة نراه (الله الابن) يخاطب الآب السماوى قائلاً: "أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هُوَلاءِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أُعْطِيتَنِي لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ (يو 17 : 24). لذلك نجد أن عقيدة الثالوث المقدس تظهر لنا أن الله محبة، قبل أن يخلق أى شئ فى الكون، فهذا الحب منذ الأزل كائن بين أقانيم الثالوث القدوس الواحد في الجوهر المتساوى في الأزلية والكرامة. فالمحبة فى بين الله الواحد المثلث الأقانيم تتبين على النحو التالى:

❖ الوحدة الفريدة

أول دليل علي ديناميكة المحبة بين الثالوث القدوس تلك الوحدة العجيبة بين الأقانيم الثلاثة رغم صفاتهم الأقنومية المتمايزة، فنحن لا نستطيع أن نفصل بين الأقانيم الثلاثة، كما أننا لا نستطيع أن نؤمن ونعلم إلا بالأقانيم الثلاثة فى الله الواحد فى الجوهر. وليس شئ يدل بالتأكيد علي المحبة أكثر من الوحدة بين الثالوث. فقد أظهر السيد المسيح الابن الوحيد هذه الوحدة عندما قال بفمه الطاهر: "أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ" (يو 10 : 30). ويقول أيضاً: "... وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ وَأَمَّا هُوَلاءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ وَأَنَا آتِي إِلَيْكُمْ. أَيُّهَا الْآبُ الْقُدُّوسُ احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ (يو 17 : 11). ويقول أيضاً: "وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ لَسْتُ تَطْلُبُونَهُ؟" (يو 5 : 44).

كذلك قوله الإلهي: " لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي" (يو 17 : 21). وأيضاً يقول بضمه الطاهر: " وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. (يو 17 : 22).

❖ وحدة المشيئة بين الأقانيم .

هناك دليل ثانى على ديناميكية المحبة بين الثالوث القدوس إلهنا الواحد هو وحدة المشيئة. فليس هناك مشيئة للابن تخالف مشيئة الآب ولا مشيئة الروح القدس. هكذا لا يوجد مشيئة لأقنوم تخالف مشيئة الأقنوم الآخر . ويدل على ذلك قول السيد المسيح: « طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأَتَمِّمَ عَمَلَهُ. (يو 4 : 34). ويقول الرب يسوع أيضاً: " أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ وَدَيُّونَتِي عَادِلَةٌ لِأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. (يو 5 : 30). وكذلك يقول: " لِأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لَأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو 6 : 38). فمن الآيات السابقة ليس دليلاً على اختلاف المشيئة بين الآب والابن بل دليل على وحدة المشيئة. فمن المؤكد أنه ليس هناك حب أعظم من أن يخضع أحدهم لمشيئة من يحبه. حتى عندما قال السيد المسيح في البستان: « يَا أَبَتَاهُ إِنْ أَمَكْنَ فَلْتَعْبُرْ عَلَيَّ هَذِهِ الْكَأْسُ وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ ». (مت 26 : 39). وقول السيد المسيح السابق أيضاً

لا يدلنا على اختلاف المشيئة بل على وحدتها. فرغم أن السيد المسيح يعرف مشيئة الآب ولا تختلف مشيئته مع مشيئة الآب لأن الآب والابن واحد في الجوهر والابن في الآب والآب في الابن . إلا أن السيد المسيح أراد أن يوضح ويُظهر دور الآب في الخلاص فهذه هي مشيئته. ورغم أن الطبيعة البشرية التي أخذها السيد المسيح المماثلة تماماً لطبيعتنا البشرية مشيئتها الطبيعية أن ترفض الألم بكافة أنواعه إلا أن السيد المسيح لكي يُظهر وحدة المشيئة مع الآب فضل مشيئة الآب . وبهذا أظهر السيد المسيح في قوله السابق مشاركته لنا في الطبيعة البشرية بكل ما تشمله هذه الطبيعة. ومن ناحية أخرى أظهر وحدة المشيئة مع الآب فالابن رغم أخذه جسداً فهو لم ينفصل قط عن لاهوته لحظة واحدة ولا طرفة عين.

كما أن الآية السابقة تبين مدى حب السيد المسيح للبشرية لأنها تدل على مدى الألم الجسدي والنفسي الذي تعرض له السيد المسيح حباً لنا ورغبة في خلاصنا. كما تؤكد أيضاً حقيقة التجسد وأن الجسد الذي أخذه السيد المسيح جسد حقيقي والدليل أنه قابل للألم.

هناك دليل آخر يدلنا على وحدة المشيئة بين الثالوث المقدس عندما يقول القديس بولس الرسول بالروح القدس: "وَمَتَّى أَخْضَعَ لَهُ الْكُلُّ فَحِينَئِذٍ الْإِبْنُ نَفْسُهُ أَيْضاً سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلُّ كَيْ يَكُونَ اللَّهُ الْكُلُّ فِي الْكُلِّ". (1كو 15 : 28). ربما يعتقد البعض خطأً

فى قول الرسول بولس السابق أنه يقلل من شأن لاهوت الابن، ولكن على العكس تماماً فهذا الخضوع هو خضوع الحب لأنه متى كان الابن غير خاضع لِلآب؟! وهل عندما يخضع الكل للآب، هل هذا الكل لن يكون خاضعاً للابن كذلك؟! فأين إذن الوحدة. ولكن القديس بولس الرسول قد سار على درب السيد المسيح وذلك فى إظهار وحدة المشيئة بين الآب والابن. فلكي لا يعتقد أحد أن الابن هو الذي له الفضل في الخلاص وحده، لذلك ركز السيد المسيح وكذلك رسوله بولس في إظهار فضل الآب ووجوب خضوعنا له. إن السيد المسيح وكذلك الرسول بولس أراد أن يوضحا وبيينا لنا عقيدة الثالوث، والوحدة الفريدة بين الأقانيم الثلاثة. لذلك يستطرد الرسول بولس في رسائله الأخرى في خضوع كل شئ للابن كما للآب عندما يقول: "الَّذِي سَيُعَيَّرُ شَكْلَ جَسَدٍ تَوَاضَعْنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدٍ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ (في 3 : 21)، فَإِنَّهُ لِمَلَائِكَةٍ لَمْ يُخْضِعِ «الْعَالَمَ الْعَتِيدَ» الَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ.(عب 2 : 5).

هناك آيتان تثبتان أن أفراد أحد الأقانيم بصفة معينة لا يمنع الأقنومين الآخرين من هذه الصفة وذلك بفعل الوحدة والحب الآية الأولى: "لَأَنَّ الْآبَ لَا يَدِينُ أَحَدًا بَلْ قَدْ أُعْطِيَ كُلُّ الدِّيُونَةِ لِلابْنِ. (يو 5 : 22). ويقول أيضاً: "وَأِنْ كُنْتُ أَنَا أَدِينُ فَدَيْنُوتِي حَقًّا لِأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي بَلْ أَنَا وَالْآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي"(يو 8 : 16). فرغم أن الآب قد

أعطي كل الدينونة للابن إلا إنهما مشتركان أيضاً في الدينونة بفعل الوحدة بينهما. على نفس القياس إن كان الابن بفعل خلاصه جعل الكل خاضعاً للآب، إلا أن هذا لا يمنع خضوع الكل للابن كذلك بفعل الوحدة أيضاً. وما خضوع الابن للآب سوى خضوع الحب مثلما يخضع الابن الحبيب لأبيه المحب. فهذا لا ينقص من الابن بل يزيد الابن رفعة وكرامة. والسيد المسيح يقول بفمه الطاهر: "دَفَعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ" (مت 28 : 18). فهل هذه الآية تدل على أن الآب ليس له سلطان؟! لا، بل على العكس فسلطان الابن من سلطان الآب بفعل الوحدة .

كما أن الآيات كثيرة التي تدل على سلطان السيد المسيح الأبدي وإلى دهر الدهور وذلك مع أبيه الصالح والروح القدس وهذه الآيات هي: "إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَقَوْلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَخْدِمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يَمْنَحُهَا اللَّهُ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اللَّهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِبِسُوءِ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ" (1بط 4 : 11). ويقول الوحي الإلهي: "إِلَهِهُ الْحَكِيمُ الْوَحِيدُ مُخَلِّصُنَا، لَهُ الْمَجْدُ وَالْعِظَمَةُ وَالْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، الْآنَ وَإِلَى كُلِّ الدُّهُورِ. آمِينَ (يه 1 : 25). ويقول الوحي الإلهي: "وَجَعَلْنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ. آمِينَ" (رو 1 : 6). ويقول أيضاً: "...وَكُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ وَتَحْتَ الْأَرْضِ، وَمَا عَلَى الْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا، سَمِعَتْهَا

قَائِلَةً: «الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَلِلْحَمْلِ الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ». (رؤ 5 : 13).

❖ هذا هو ابني الحبيب

هناك شقان يدلان على المحبة بين الأقانيم الثلاثة في الآية السابقة . الشق الأول هو كلمة " الابن " فليس هناك تعبير إنساني يفوق كلمة: "ابن" يمكن أن يعبر عن المحبة لأنها محبة دائمة. الشق الثاني هو الكلمة الصريحة " الحبيب " هذا يثبت علاقة الحب بين الأقانيم الثلاثة فإننا لم نسمع الآب متكلماً في العهد الجديد إلا في حادثتي العماد والتجلي، في كليهما يشهد بعلاقة الحب بين الأقانيم الثلاثة عندما يقول: "... وَصَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ» (مت 3 : 17). وصوت الآب في التجلي: « هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا» (مت 17 : 5). «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ!» (مر 1 : 11)، (مر 9 : 7)، (لو 3 : 22)، (لو 9 : 35).

لقد ربط الكتاب بنوة الابن بالآب بالمحبة: " تَكُونُ مَعَكُمْ نِعْمَةً وَرَحْمَةً وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ الْآبِ وَمِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، ابْنِ الْآبِ بِالْحَقِّ وَالْمَحَبَّةِ" (2يو 1 : 3). هذه المحبة بين الآب والابن هي محبة أزلية أبدية في ذات الجوهر الواحد. وفي ذلك شهد الكتاب "لأنَّ الْآبَ يُحِبُّ

الابنَ وَيُريهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ وَسَيُريهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ لِيَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ. (يو 5 : 20). وهذه الآية السابقة بالتأكيد تخص الابن الكلمة وقت تجسده وتخليته لذاته وهي تخص اليهود الذين لا يؤمنون بالسيد المسيح. كما أن السيد المسيح أراد أن يثبت من هذه الآية لليهود دوام محبة الآب للابن حتى وقت تجسده. أما الأمور التي سوف يريه إياها ليتعجب اليهود فهي تخص الصلب وما حدث أثناءه والقيامة والصعود وهذه الأمور تخص ابن الله الكلمة المتجسد. وقد شهد السيد المسيح بعلاقة الحب هذه حينما قال: "الآبُ يُحِبُّ الابْنَ وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ" (يو 3 : 35). كذلك يقول: "لَأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الابْنَ وَيُريهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ وَسَيُريهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ لِيَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ" (يو 5 : 20). وأيضاً: "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أُعْطِيتَنِي لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ" (يو 17 : 24).

والأعجب من هذا أن السيد المسيح يشبه محبة الآب له بمحبته هو للمؤمنين، فيقول: "أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَيَّ وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي" (يو 17 : 23). كذلك يقول: "وَعَرَفْتُهُمْ اسْمَكَ وَسَأَعْرِفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمْ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونُ أَنَا فِيهِمْ" (يو 17 : 26). وفي مثل رب الكرم يشهد نجد صاحب الكرم يقول: "مَاذَا أَفْعَلُ؟ أُرْسِلُ ابْنِي الْحَبِيبَ. لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَهَابُونَ!" (لو 20 : 13). والسيد المسيح يقول: "أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ

لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي" (يو 17 : 23).

كما أن القديس يوحنا الحبيب يشهد بذلك أيضاً في رسالته الأولى قائلاً: "تَكُونُ مَعَكُمْ نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ الْآبِ وَمِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، ابْنِ الْآبِ بِالْحَقِّ وَالْمَحَبَّةِ" (2يو 1 : 3).

بل أن نبوات العهد القديم قد تنبأت على الابن الحبيب أيضاً، فنسمع نبوة إشعياء النبي التي استشهد بها القديس متى في إنجيله قائلاً: "هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ حَبِيبِي الَّذِي سَرْتُ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الْأُمَّمَ بِالْحَقِّ" (مت 12 : 18). فالآب السماوي والابن الحبيب لم يتركا فرصة إلا ويشهدا فيها بعلاقة الحب التي تربط فيما بين الأقانيم الثلاثة.

ومما يدل على علاقة الحب وديناميكيته بين الثالوث المقدس ذلك الاتضاع العجيب. فمن الطبيعي إنني عند أحبك أتضع لك بكل حب وسرور. هكذا يظهر لنا في العهد الجديد نسمع أن الآب السماوي قد أعطى كل الدينونة للابن "لَأَنَّ الْآبَ لَا يَدِينُ أَحَدًا بَلْ قَدْ أُعْطِيَ كُلُّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ" (يو 5 : 22). والابن نفسه سيخضع للآب. كل هذه عبارات نطق بها الروح القدس لكي يوضح لنا علاقة الحب والاتضاع

فيما بين الأقانيم الثلاثة ولكي نتعلم نحن أن المحبة الحقيقية في الوحدة والاتضاع بكل حب وسرور .

❖ العمل المشترك بين الأقانيم

تجلت قمة الحب بين الأقانيم الثلاثة عندما أعلن الكتاب المقدس تسليم الكنيسة بعد الصلب والقيامة والصعود للروح القدس وعمله فيها. وهذا ما أوضحه السيد المسيح عندما قال: "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمْكُنَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ" (يو 14 : 16). كذلك قوله: "وَأَمَّا الْمُعْزِي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ." (يو 14 : 26).

إن القارئ المدقق في الكتاب المقدس بعهديه سوف يجد أن العهد القديم ركز على الآب القدوس. والأنجيل الأربعة ركزت على عمل الابن الحبيب وخلاصه. وسفر الأعمال ركز على عمل الروح القدس في الكنيسة. كذلك نجد في العهد القديم كله رموز وإشارات وظهورات لأقنوم الابن وعمله الخلاصي. كما نجد في الأنجيل الأربعة شهادة الابن لأقنوم الآب، كما في معظم إنجيل يوحنا . كما نجد في سفر الأعمال، أنه رغم التركيز على عمل الروح القدس إلا أننا نجد الابن الحبيب يظهر لشاول الذي صار بولس الرسول فيما بعد. ما نريد قوله أن العلاقة بين الأقانيم الثلاثة هي علاقة حب ووحدة فريدة

وعجبية . فنحن لا نستطيع الفصل فى الجوهر، كذلك لا يمكننا الخط نهائياً بين الاقانيم.

هكذا يجب أن تكون علاقة المحبة فيما بيننا نحن البشر فالوحدة والمحبة يجب أن تكون موجودة مع تباين الأعمال التي نقوم بها - هذا طبعاً مع الفارق - فالإنسان كم هو محتاج لهذه الوحدة بينه وبين نفسه أولاً. ثم بينه وبين الآخرين. أولاً بينه وبين نفسه أن يكون هناك وحدة بين روحه وجسده فلا يفعل جسده ما يخالف مشيئة روحه. فكثيراً ما أراد الكتاب المقدس أن يعلمنا المحبة من خلال الوحدة فنجد السيد المسيح يقول "وَلِي خِرَافٌ آخَرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ يَنْبَغِي أَنْ آتِيَ بِتِلْكَ أَيْضاً فَتَسْمَعْ صَوْتِي وَتَكُونُ رَعِيَّةً وَاحِدَةً وَرَاعٍ وَاحِدٌ." (يو 10 : 16). ويقول أيضاً: "وَلَيْسَ عَنِ الْأُمَّةِ فَقَطُ بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءُ اللَّهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ" (يو 11 : 52). كما يقول أيضاً الرب يسوع: "... وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الْآبُ الْفُتُوسُ احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ... لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فَيُنَافِئَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي... وَأَنَا قَدْ أُعْطِيتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أُعْطِيتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ." (يو 17 : 11، 21، 22).

ليتنا نتعلم الوحدة وعلاقة الحب من الثالوث القدوس الإله الواحد
فنحب بعضنا بعضاً، ونتضع بعضاً لبعض بل ونخضع بعضنا
لل بعض الآخر، ونفضل مشيئة الآخرين، في الرب، عن مشيئتنا، بكل
حب وفرح وسرور، ونعظم الآخرين عن أنفسنا ونعتبر أن أعمالنا
واحدة فلا نفتخر بل ننسبها بحب بعضنا للبعض الآخر.

❖ محبة الله في خلق الملائكة والإنسان والخلائق الأخرى

من المعروف أن الإنسان غير الحب يكون متقوقعاً حول نفسه،
ليس له علاقات مع الآخرين، ولا يحب أن يكون له علاقات مع
آخرين. على العكس تماماً نجد الله الخالق الذي لم يكن محتاج للحب
فهو في علاقة حب أزلية أبدية في داخل جوهره الواحد ولكن لفرط
حبه أراد أن يُظهر هذا الحب فخلق المخلوقات لكي يُخرج فيها حبه.
فلا يمكننا إيجاد سبب آخر للخلق سوى الحب. سواء خلق الملائكة
أو الإنسان أو حتي الحيوان والنبات بل والجماد .

أ - تجلى محبة الله في خلق الملائكة

الله لم ولن يكون محتاجاً لأحد لكي يعبدّه ويصلي له، ومع ذلك
خلق الملائكة لكي تتمتع بالوجود أمامه وتسبحه. والدليل علي مبدأ
الحب في خلق الملائكة أن الله خلق ملائكته أرواحاً سامية. خلقها
أنواراً تلتهب ومنحها قوة وسلطان يفوق بكثير الإنسان لذا نجد المرئ

داود يقول عن الإنسان: "وَتَتَقُصُّهُ قَلِيلًا عَنِ الْمَلَائِكَةِ وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ." (مز 8 : 5). كما أن الرب الإله خلق ملائكته وهياً لهم طعاماً روحياً سماوياً غير مدرك قال عنه الكتاب: "أَكَلَ الْإِنْسَانُ خُبْزَ الْمَلَائِكَةِ. أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ زَادُ الشَّبَعِ." (مز 78 : 25). ويقول الوحي الإلهي: "أما شعبك أيها الرب، فبدلاً من ذلك أعطيتهم طعام الملائكة، و أرسلت لهم من السماء طعاماً معداً للأكل لم يتعبوا فيه، يستطيعه الجميع علي اختلاف أذواقهم. (الحكمة 16 : 20).

كما منحهم الله حرية الإرادة والعمل فترى طغمة قد سقطت بإرادتها ومن محبة الرب الإله أنه لم يهلكها في الحال وترك معها قوتها. ومن جمال طبيعة الملائكة في خلقهم وعملهم سوف يصبح الإنسان الذي له نصيب في ملكوت السموات مثل الملائكة: "لأنهم في القيامة لا يُزَوِّجُونَ وَلَا يَتَزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلَائِكَةِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ." (متى 22 : 30). ومن محبة الله للملائكة أنه يشركهم معه في العمل فسوف يأتون معه في مجده عندما يأتي لدينونة العالم فيقول الكتاب: "وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ" (متى 25 : 31). بل إن الكتاب يشركهم في مجد الابن ومجد الآب أيضاً: "لأن من استحي بي وبكلامي فهذا يستحي ابن الإنسان متى جاء بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين" (لوقا 9 : 26). ونرى في الآية السابقة محبة الله للملائكة فقد خلقهم قديسين. وهناك آية جميلة توضح محبة الله وتواضعه لملائكته

فإن ابن الإنسان سوف يعترف بمن يعترف به قدام ملائكة الله: "وَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنْ اعْتَرَفَ بِي قُدَّامَ النَّاسِ يَعرِفُ بِهِ ابْنُ الْإِنْسَانِ قُدَّامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ" (لو 12 : 8). كما أن الرب خلق ملائكته أرواحاً خالدة لا يموتون: "إِذْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضاً لِأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلَائِكَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْفِيَامَةِ" (لو 20 : 36). بل لقد منحهم من قوته كما يقول الكتاب: "وَإِيَّاكُمْ الَّذِينَ تَتَضَافُونَ رَاحَةَ مَعَنَا عِنْدَ اسْتِعْلَانِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلَائِكَةِ قُوَّتِهِ" (2 تس 1 : 7). "حَيْثُ مَلَائِكَةٌ، وَهُمْ أَعْظَمُ قُوَّةً وَقُدْرَةً لَا يَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ لَدَى الرَّبِّ حُكْمَ افْتِرَاءٍ" (2 بط 2 : 11). ومن محبة الرب الإله لملائكته أيضاً أنه خلقهم وأعطاهم مكاناً حول وأمام العرش كما خبرنا سفر الرؤيا: "وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ كَانُوا وَاقِفِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالشُّيُوخِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ، وَخَرُّوا أَمَامَ الْعَرْشِ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَسَجَدُوا لِلَّهِ. (رؤ 7 : 11). وكذلك يقول: "وَرَأَيْتُ السَّبْعَةَ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَقِفُونَ أَمَامَ اللَّهِ وَقَدْ أُعْطُوا سَبْعَةَ أَبْوَابٍ. (رؤ 8 : 2). بل أن الرب الإله يلبس ملائكته ملابس ملكية تدل على محبته العظيمة لهم وجاء ذلك في سفر الرؤيا: "وَخَرَجَتِ السَّبْعَةُ الْمَلَائِكَةُ وَمَعَهُمُ السَّبْعُ الضَّرَبَاتُ مِنَ الْهَيْكَلِ، وَهُمْ مُنْسَرِبُونَ بَكَّتَانٍ نَقِيٍّ وَبَهِيٍّ، وَمُتَمَنِّطُونَ عِنْدَ صُدُورِهِمْ بِمَنَاطِقَ مِنْ ذَهَبٍ" (رؤ 15 : 6). كما أعطاهم هيبة حتى أن كل من يراهم في مجدهم تأخذه الدهشة والعجب، كما حدث مع القديس يوحنا الحبيب الذي أراد أن يخبر ويسجد للملاك الذي كان يريه الرؤيا: "فَخَرَرْتُ أَمَامَ

رَجُلَيْهِ لِأَسْجُدَ لَهُ، فَقَالَ لِي: «انْظُرْ لَا تَفْعَلْ! أَنَا عَبْدٌ مَعَكَ وَمَعَ إِخْوَتِكَ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ شَهَادَةُ يَسُوعَ. اسْجُدْ لِلَّهِ. فَإِنَّ شَهَادَةَ يَسُوعَ هِيَ رُوحُ النُّبُوَّةِ».(رؤ 19: 10).

ب - خلق الإنسان

من طبيعة الله الحب. لذا لن نستطيع أن نجد جواباً لعله خلقه للإنسان سوى الحب الذي هو من طبيعته. وقد تجلت محبة الله في خلقته للإنسان فقد خلقه على صورته ومثاله في الصورة النسبية غير المطلقة في السلطان والخلود والنطق (العقل). بل أن الرب الإله من محبته قد أعد للإنسان كل شيء يمكن أن يحتاجه قبل أن يخلقه، فقد غرس له جنة لكي يتنعم فيها كما نقول في القداس الباسيلي، بل وأعد له كل شجرة شهية للنظر وللأكل ولم يحرمه الأكل منها. وتتجلى محبة الرب الإله في خلقه للإنسان في كونه خلق الإنسان طاهراً. فيخبرنا سفر التكوين في أن أبانا آدم وأمنا حواء كانا عريانين ولا يخجلان. كما أنه لمن الواضح أن الطبيعة كانت مستقرة مناخياً لذا استطاع أن يعيش أبوانا الأولان وهما عريانان. ومن محبة الرب الإله في خلقه للإنسان أنه خلقه حراً مريداً يظهر ذلك في إعطائه الوصية بعدم الأكل من شجرة معرفة الخير والشر فلو لم يكن الإنسان حراً مريداً لم يكن هناك حاجة إلى توصيته بل أنه مع الوصية بعدم

الأكل من تلك الشجرة الواحدة أعطاه السلطان للأكل من كل شجر الجنة حتى من شجرة الحياة.

ومن محبة الله أيضاً في خلقه للإنسان أنه أعطاه السلطان على كل الخليقة رغم أنه يجب أن يكون السلطان للرب وحده بل أن أشرك الإنسان في العمل معه ومنحه البركة والإثمار والكثرة.

كما تظهر محبة الله في خلق الإنسان عندما رأي أبانا آدم وحيداً خلق له حواء لتكون معيناً ونظيراً له. كان يمكن لله أن يخلق لآدم ذكراً من نفس جنسه ولكنه خلق له أنثى متبينة فعند التباين يظهر الحب. وقد شرع لهم سر الزيجة ليكون الاثنان واحداً علامة قمة الحب وقد غرس فيهما غريزة الحب الباقية إلى الآن. ورغم السقوط إلا أن الله جعل هذا الحب والاشتياق بين الرجل والمرأة موجوداً حتى يتغزوا به عن التعب وعرق الجبين. إن رقم اثنين في الكتاب المقدس يرمز للحب مثل آدم وحواء وعندما أرسل الرب تلاميذه أرسلهم اثنين اثنين.

كان يمكن لله إن يترك آدم وحيداً لكي يكتفي بالله فقط في الحب ولكن الله ليس أنانياً ولكنه محب أراد لآدم أن يتبادل الحب مع شخص مثله متساوٍ معه.

من محبة الله أنه في بعض الأحيان يتنازل عن عقوبته وكلامه حباً منه للإنسان فرغم أنه عاقب أبانا آدم وذريته في صلبه بالتعب وأكل الخبز بعرق الجبين إلا أنه عال شعب إسرائيل باليمن في البرية. وتظهر محبة الله للإنسان حتى رغم سقوطه وتعديه لوصية الله وكبريائه وشهوته في أن يصبح مثل الله عارفاً الخير والشر رغم كل ذلك نجده يصنع لهم أقمصاً من جلد التي هي رمز للخلاص الذي سوف يتمه بدم المسيح كما أعطاهم الوعد بالخلاص في أن نسل المرأة سوف يسحق رأس الحية.

ت خلق الحيوانات والنباتات

إن الإنسان المملوء قلبه بالحب يفيض بذلك الحب على كل شيء حوله وهذا نراه في الرب الإله كلي الحب فقد أفاض بحبه حتي على الحيوانات غير العاقله والنبات الذي بدون عقل حتي الجماد الذي لا يحس. فما أروع جمال كل الكائنات التي خلقها الله جمال في الشكل، في التنوع، في المواهب المختلفة . فنرى من الحيوانات ما يمتاز بالقوة وما يمتاز بالسرعة ومن يمتاز بالذكاء. بل أنه من محبة الله لم يحرم الحيوان من بعض الغرائز التي يمكن أن يتمتع بها مثل غريزة الأمومة وغريزة الجنس وغريزة الأكل. وبالطبع لم يخلق الرب الإله الحيوانات مفترسة فالحيوانات ليست مفترسة بطبيعتها بل إن الافتراس دخیل عليها والدلیل على ذلك أن الرب الإله قد أحضر كل الحيوانات

لأبينا آدم لكي يسميها. وأبونا نوح قد أدخل معه إلي الفلك من كل الحيوانات. والقديسون بقداستهم يرجعون بالحيوانات المفترسة إلي طبيعتها غير المفترسة.

والنبات أيضاً قد خلقه الله في محبته في أجمل صورة فإننا نرى الزهور الجميلة التي هي ممتعة للنظر والفاكهة التي هي شهية للأكل والخضروات والبقوليات ذات القيمة الغذائية. والجماد أيضاً لم يبخل عليه الله المحب بالروعة والجمال في العلو والعظمة كالجبال وفي الاتساع والعمق كالبهار والمحيطات. بل أن الإنسان عندما يتأمل فقط في الماء الذي خلقه الله المحب سوف يسجد خاشعاً معترفاً بمحبة الله وعظمته. إن محبة الله تتجلى في ثبات الكون الذي خلقه، وإن كان بين الحين والآخر يرينا قدرته وعظمته ببعض البراكين والزلازل، حتى نتعظ ونؤمن به. مع ملاحظة أن الزلازل والبراكين هي ظواهر طبيعية لا علاقة لها بشرور الإنسان. فالبراكين مثلاً ينتج عنها الجزر البركانية وأخصب أنواع التربة هي التربة البركانية.

الحب ليس حباً بل عبودية، فعندما يقع في عبودية حبه لنفسه فإنه يسجنها ويفقدها معنى الحب وفاعليته. فالحب الإيروسى صورة ناقصة من صور الحب. إنه دائرة مغلقة، يتوهم كل من يحبس نفسه فيها أنه قادر على الإنطلاق ولكنه حبيس لا يرى نور الحرية لأنه فى قبر الذات يعيش. هذه طبيعة هذا الحب الإيروسى، يعيش ولا يحب. يشتهى ولا يبذل. يتلذذ ولا يرضى بجراح المسؤولية والالتزام. لذلك فأن الفرق بين الحب الإيروسى والحب المسيحى (الأغابى) هو أن الأول يتمركز حو الذات والثاني يتمركز حول الله. الأول رغبة وشوق واشتهاء، بينما الثانى بذل وعطاء وتضحية بالذات. الحب الإيروسى ينشد متعة الذات فى حين أن الحب الأغابى تهب نفسها للآخرين.

الفصل الرابع

عظمة المحبة

المحبة هي أعظم جميع الفضائل، يقول القديس بولس الرسول: "أَمَّا الْآنَ فَيَثْبُتُ الْإِيمَانُ وَ الرَّجَاءُ وَ الْمَحَبَّةُ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَلَكِنَّ أَكْبَرَهُنَّ الْمَحَبَّةُ (1كو 13: 13). حقيقة لا يوجد أي شئ يضاهي فضيلتي الإيمان والرجاء ولكن المحبة أعظم منهن. إن فضيلة المحبة لا تلغي الفضائل الأخرى، ولكنها تنميتها. فالمحبة تقوم بتنفيذ وترجمة الفضائل الأخرى إلى أعمال كما يقول القديس بولس: "لأنَّه فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَا الْخِثَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلَا الْعُرْلَةُ، بَلِ الْإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ (غل 5: 6). كما يقول أيضاً: "لَا تُصَيِّرُوا الْحُرِّيَّةَ فُرْصَةً لِلْجَسَدِ، بَلْ بِالْمَحَبَّةِ اخْدِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (غل 5: 13).

المحبة أعظم الفضائل لأنها لغة السماء، فمثلاً فضيلة الإيمان سينتهي دورها إلي حد ما عندما نرى الله، ونرى ما أعده لنا. سيكون مفهوم الإيمان في السماء هو الثقة في الله. والرجاء أيضاً سينتهي دوره بعد أن ندخل فعلاً إلي السماء وسيكون مفهومه الجديد هو التطلع نحو أمجاد وخيرات جديدة كل يوم. فالإيمان والرجاء هما طريقاً يوصلنا إلي الله، أما المحبة هي الله ذاته.

• المحبة تكميل الناموس:

يقول عنها الرسول بولس: "لَا تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لِأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلَّا بِأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ. (رو 13 : 8) كما يقول في نفس المعنى: "لِأَنَّ كُلَّ النَّامُوسِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُكْمَلُ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (غل 5 : 14). كما يؤكد على كلامه بقوله: "فَإِنْ كُنْتُمْ تُكْمَلُونَ النَّامُوسَ الْمُلوَكِيَّ حَسَبَ الْكِتَابِ «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». فَحَسَنَاتُفْعَلُونَ. (يع 2 : 8) ..

ويعلل ذلك بقوله: "لِأَنَّ «لَا تَزْنِ لَا تَقْتُلْ لَا تَسْرِقْ لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ لَا تَشْتَهَ» وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةٌ أُخْرَى هِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ: «أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». (رو 13 : 9) وبقوله أيضاً: "الْمَحَبَّةُ لَا تَصْنَعُ شَرًّا لِلْقَرِيبِ فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ" (رو 13 : 10). فالإنسان الذي أخذ المحبة من الله، يحب الله ولا يمكن أن يصنع شراً بأحد. وهو دون أن يدري ينفذ الوصية والناموس. فالقديس بولس الرسول يريد أن يقول للمؤمنين بدلاً من أن تكونوا مستعبدين للناموس فلتكونوا مستعبدين للمحبة.

• المحبة غاية الوصية

يعلم القديس بولس الرسول تلميذه الأسقف تيموثاوس قائلاً: "وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ

بِلَا رِيَاءٍ. (1 تي 1: 5)، من أجل ذلك ينبغي علينا أن يكون الهدف من كل ممارستنا الروحية هو الوصول إلى محبة الله، ومحبة القريب.

• المحبة لا تسقط أبداً

يقول القديس بولس الرسول " الْمَحَبَّةُ لَا تَسْقُطُ أَبَدًا. وَأَمَّا النُّبُوتُ فَسَيُبْطَلُ وَ الْأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي وَ الْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ. (1كو 13 : 8). فالإنسان يسقط عندما يكون وحده وليس هناك من يسنده سواء بسبب كبرياء قلبه أو صغر نفسه. أما المحبة فيسندها الله ذاته لذا فهي لا تسقط أبداً. لذلك نقول فالمحبة أزلية أبدية لا تنتهي بل تستمر وتدوم معنا في الأبدية، بل وستزداد تلك المحبة في الأبدية. لذا سوف لا نشعر بملل ولا ضجر مع المحبة مثلاً إنسان تحبه، صديق أو زوجه، أوقريب، فيخيل لي أنك لايمكن أن تمل منه. هكذا في الأبدية مع الفارق الكبير بين تلك المحبة الأرضية وبين تلك المحبة السمائية التي سوف تنسكب فينا وتزداد في الأبدية. فإن لم يتدرب القلب علي المحبة لله هنا علي الأرض، فكيف يعيش في المحبة الدائمة في الأبدية.

• المحبة هي رباط الكمال

يقول القديس بولس الرسول: " وَعَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ (كو 3: 14).

المحبة هي تاج كل الفضائل، والمؤشر الحقيقي لارتداء الإنسان الجديد، هي رباط الكمال. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: "بدون المحبة تصير كل الفضائل بلا قيمة ولا منفعة". فالمحبة تحتضن كل الفضائل معاً وتجذب المسيحي من خلالها إلى الكمال. فهي رباط الفضائل وبدونها تصبح الفضائل غير مربوطة وغير موثوق فيها وتكون مدعاة للسخرية.

المحبة أم الفضائل كلها ترتبط بها كل الفضائل فهي مثل الأم؛ لأنها مصدر كل الفضائل، فالمحبة هي التي تدفعنا إلى إقتناء الفضائل وتنفيذها فهي التي تحثنا علي الصلاة حباً بالله والعطاء حباً في القريب. هكذا مع باقي الفضائل، بدون المحبة لا تصلح فضيلة ولا تُقبل صلاة ولا تنتفع خدمة. إن كل ما نفعله ولو كان خيراً في ذاته لكنه خالٍ من الحب والشوق للمسيح هو نفاية. ومهما استفاد منه الآخرون فنحن لا ننتفع شيئاً ويقول في ذلك القديس يوحنا ذهبي الفم: "إن ما يريد القديس بولس الرسول قوله هو إن تلك الأشياء (الفضائل) لا نفع منها، لأن جميعها تتهاوى إن لم تتم بالحب، فهو الذي يربطها جميعاً معاً في رباط واحد. فمهما كان ما تفعله صالحاً إن لم يكن بالحب سرعان ما يزول أثره ويصبح كلاً شيئاً".

كذلك يقول القديس يعقوب السروجي: "الحسنات هي مثل أعضاء الجسد الواحد، والحب يكمل موضع جميع الحسنات". كما يقول

أيضاً: "الصوم حسن وإن صام إنسان بغير حب ينتن فمه، ولا يريح بتسكه شيئاً... فالصلاة محبوبة وإن لم يُصعدها الحب فجناحها ضعيف ، ولا تنتظر العلي في مكانه... الصدقة عظيمة جداً لعاملها، وإن لم يعملها بالحب فباطل هو عمله".

• المحبة والغفران لخطايا الآخرين

" وَلَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لِنَتَكُنْ مَحَبَّةً لَكُمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ تَسْتُرُ كَثْرَةَ مِنَ الْخَطَايَا (1بط 4 : 8). المحبة تغفر الخطايا من عدة جوانب.

الجانب الأول: هو محبة الله الذي يغفر لنا خطايانا من قبل محبته لنا وذلك خلال توبتنا واعترافنا: " إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ. (1يو 1 : 9).

الجانب الثاني: هو محبتنا نحن المستقاة من محبة المسيح تجعلنا نسامح ونغفر زلات أخوتنا ونستر عليهم ولا ندينهم.

هناك جانب ثالث: هو محبتنا نحن لله تجعله يغفر لنا خطايانا، ونرى ذلك في قصة المرأة الخاطئة في بيت سمعان، حيث نجد السيد المسيح يقول لسمعان عن المرأة الخاطئة: " مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لِأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلًا ». (لو 7 : 47).

هناك جانب رابع: في المحبة يجعل الله يغفر لنا وهو محبتنا نحن لإخوتنا وتسامحنا معهم وسترنا عليهم يجعل الله يفعل لنا بالمثل " فَاغْفِرُوا إِن كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ لِّكِي يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلَّاتِكُمْ" (مر 11 : 25). كما يقول: " لَا تَدِينُوا فَلَا تُدَانُوا. لَا تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلَا يُقْضَى عَلَيْكُمْ. إِغْفِرُوا يُغْفَرَ لَكُمْ (لو 6 : 37).

• بدون المحبة تبطل كل الفضائل

أى فضيلة لا تُمارس بدون محبة تكون باطلة. فعندما تكون خالية من المحبة فنجدته يقول: " إِن كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِالسَّيِّئَةِ النَّاسِ وَالْمَلَائِكَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَقَدْ صِرْتُ نُحَاساً يَطْرُقُ أَوْ صَنْجاً يَرِنُ" (1كو 13 : 1). كما يقول: "وإن كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً. (1كو 13 : 2). ويقول أيضاً: "وإن أطعمت كل أموالي وإن سلّمت جسدِي حتى أحترق ولكن ليس لي محبة فلا أنفع شيئاً" (1كو 13 : 3).

فى ذلك يقول القديس يعقوب السروجى: " عندما يدخل الحب للنفس تستضى أفكارها ويدخل العقل لىخدم الأسرار الإلهية ..الحسنات هي حسنة لفاعليها ، وإن فعلت بدون الحب ليست هي حسنة .. الملح يصلح المذاقات ويطيّبها ، والحب يطيّب الحسنات إن عملت به".

• لا خوف في المحبة

يقول القديس يوحنا: "لَا خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لِأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ. (1 يو 4 : 18) .

فالإنسان الذي يحب الله، يحب القريب. كما يثق في محبة الله ومحبة القريب. لذلك من المؤكد أنه يعيش في سلام بعيد عن الخوف، فمن من يخاف وهو واثق من محبة ضابط الكل له؟!.

الإنسان الذي يحب الله ويحفظ وصاياه وهو واثق في محبة الله لا يخاف حتي من المستقبل في الأبدية ويمكنه أن يردد مع القديس يوحنا الحبيب بكل ثقة: "بِهَذَا تَكَمَّلَتِ الْمَحَبَّةُ فِينَا: أَنْ يَكُونَ لَنَا ثِقَةٌ فِي يَوْمِ الدِّينِ، لِأَنَّهُ كَمَا هُوَ فِي هَذَا الْعَالَمِ هَكَذَا نَحْنُ أَيْضًا. (1 يو 4 : 17).

إن المحبة الحقيقية يصحبها الفرح لا الخوف، كما قال السيد المسيح لتلاميذه: "سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الْآبِ لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمَ مِنِّي. (يو 14 : 28).

• المحبة قوية كالموت

هكذا يقول سفر المحبة، سفر نشيد الأناشيد: "اجْعَلْنِي كَخَاتِمٍ عَلَى قَلْبِكَ كَخَاتِمٍ عَلَى سَاعِدِكَ. لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ قُوَّةٌ كَالْمَوْتِ. الْغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالْهَافِيَةِ. لَهِيْبُهَا لَهِيْبُ نَارٍ لَطَّى الرَّبِّ. (نش 8 : 6). هنا تريد العروس أن تقول: إن الموت هين، لا يقدر أن يفصلني عن حبي لك، والمياه الكثيرة وجميع الأنهار لا تقدر أن تطفئه أو تغمره. وكما يقول الرسول بولس: "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضَيْقٌ أَمْ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟.... فَإِنِّي مُتَيْقِنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ وَلَا مَلَائِكَةَ وَلَا رُؤْسَاءَ وَلَا قُوَّاتٍ وَلَا أُمُورَ حَاضِرَةً وَلَا مُسْتَقْبَلَةً. وَلَا غُلُوٌّ وَلَا غُمُقٌ وَلَا خَلِيقَةٌ أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا (رو 8 : 38، 39). يقول القديس أغسطينوس في هذا: "لا تستطيع زوابع العالم أو أمواج التجارب أن تطفئ لهيب الحب. عن هذا قيل: "المحبة قوية كالموت". فكما أن الموت متى حل لا يوجد من يقدر على مقاومته، إذ لا يقدر المولودون للموت أن يصدوا عنف الموت بأي فن من الفنون أو نوع من الأدوية، هكذا لا يقدر العالم أن يقف ضد قوة الحب، فكما أن الموت عنيف هكذا في التدمير، كذلك الحب قوى في الإنقاذ (الخلاص)، خلال الحب مات كثيرون عن العالم ليحيوا لله."

الفصل الخامس

الله محبة (تعاملاته مع الخطاة)

تتجلى محبة الله في أبهى صورها في محبته للخطاة وعطفه عليهم. فرغم أن الله عادل ولا تتفق قداسته مع الخطية إلا أنه محب ورحيم أيضاً. فعدله غير المحدود يوجب محاسبة الخاطئ إن لم يتب ومحبته غير المحدودة توجب قبول توبة الخاطئ في كل مراحل حياته. بل نقول إن عدل الله به محبة فمن أهداف محاسبة الله للخطاة هو إتعاضهم ورجوعهم عن الخطية فيستحقون الرحمة ويفلتون من العقاب الأبدي. ويمكننا أن نتحدث عن عدة مظاهر تبين محبة الله للخطاة في النقاط التالية:

(أ) الله يحتمل الخطاة.

من مظاهر محبة الله للخطاة أنه يحتملهم ويحتمل شرورهم فيمكن الله وعدله أن ينزل العقاب على الخاطئ بعد الخطية مباشرة ولكنه يتمهل ويحتمل. ومن محبة الله القدوس أنه قد احتمل شرور البشرية

منذ الخلق على الرغم من كثرة عددهم وكثرة شرورهم وفضاعة خطاياهم وتنوعها. فكيف احتمل الله كل هذا الزنا والقتل والفحشاء ... ؟! هي المحبة التي قيل عنها أنها تحتل كل شيء .

من المرات القليلة التي اتخذ فيها السيد الرب قراراً بالعقاب أيام الطوفان وبعدها قرر الرب من محبته بأن لا يجيئ بالطوفان مرة ثانية علي الأرض... عظيمة هي محبة الرب.

الله لا يحتمل فقط بل يقبل الخاطئ إن رجع عن طريقه فموسى النبي قتل، وداود الملك البار زنا وقتل، وموسى الأسود قد فعل من الشرور ما لا يُحصى! رغم ذلك نرى محبة الله تسامح. تلك المحبة التي لا تشاء موت الخاطئ مثلما يرجع وتحيا نفسه. إن محبة الله لا تقبل توبة الخاطئ فقط بل ولا تنزع عنه رتبته مع بقاء محبة الله فهوذا بطرس يقول له الرب: "إرع خرافي". وداود النبي يقبل شفاعته حتى بعد موته قائلاً "من أجل داود عبدي" وموسى الأسود يجعله من القديسين العظام في الكنيسة ويتشفع به الكثيرون في كل العصور بكل البلاد.

(ب) الله يحذر الخطاة

الله لا يحتمل الخطاة فقط بل من محبة الله للخطيئ أيضاً أنه يقوم بتحذيره قبل أن يخطئ حتى لا يُخطئ، وذلك على لسان أنبيائه

ورسله وكتابه المقدس الذي يحذر الخاطئ من الخطية ويحسه على الفضيلة والتقوى. ومن الأمثلة القوية علي تحذير الخاطئ ما قاله الرب الإله لقائين عندما رأى ما بداخله من أفكار خاطئة تجاه هابيل أخيه فنجدته يحذره ويقول له: " وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ حَظِيَّةٌ رَابِضَةٌ وَإِلَيْكَ اسْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا" (تك4 : 7).

هناك انذار قدمه الرب قبل الطوفان (تك6) . وإنذار قدمه لأهل سدوم علي يد لوط (تك19). وإنذارات يقدمها في سفر الرؤيا قبل المجيء الثاني(رؤ8). وإنذار أمر به في سفر حزقيال النبي. فقال له: " يَا ابْنَ آدَمَ، قَدْ جَعَلْتُكَ رَقِيبًا لِّبَيْتِ إِسْرَائِيلَ. فَاسْمَعْ الْكَلِمَةَ مِنْ فَمِي وَأُنْذِرْهُمْ مِنْ قِبَلِي". ويقول أيضاً: " وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ فَقَدْ جَعَلْتُكَ رَقِيبًا لِّبَيْتِ إِسْرَائِيلَ، فَتَسْمَعُ الْكَلَامَ مِنْ فَمِي وَتُحَذِّرُهُمْ مِنْ قِبَلِي" (حز3:17).

كذلك يهوذا الذي سلم السيد المسيح نجد السيد المسيح يحذره بل يهدده لعله يرتدع ويرجع عن ما في داخله قائلاً "إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ وَلَكِنْ وَيْلٌ لِّذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلَّمُ ابْنُ الْإِنْسَانِ . كَانَ خَيْرًا لِّذَلِكَ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُؤْلَدْ" (مت 26 : 24)، (مر 14 : 21).

الله يريد أن جميع الناس يخلصون وإلي معرفة الحق يقبلون، ولا يشاء موت الخاطئ. لذا نجده يحذر دائماً الخطاة في كل مراحل خطيتهم وذلك من خلال عظة يسمعونها أو كلمة يقرأونها أو حتى شدة يشعرون من خلالها بتحذيرات الله للخاطئ. مع أن الله المحب، من غير الممكن أن يترك الخطاة دون أن يحذرهم ويقف بجوارهم، ولكنه لا يرغم ولا يُقصر أحد على التوبة فقد خلق الله الإنسان في كامل حريته حتى متى حاسبه أو كافأه فيكون ذلك حسب عدله .

(ج) الله ينتظر رجوع الخاطئ

الله لا يحذر فقط قبل الخطية، بل وينتظر توبة الخاطئ متى يرجع. لذلك نجد أن السيد المسيح قد اختار موت الصليب حتى يكون فاتحاً ذراعيه وجنبه المطعون، ليقبل أى خاطئ يريد التوبة فهو الذى قال: "كُلُّ مَا يُعْطِينِي الْآبُ فَإِلَيَّ يُقْبَلُ وَمَنْ يُقْبَلْ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجاً" (يو 6: 37). كما يظهر ذلك في مثل الابن الضال الذي كان أباه في إنتظاره ورغم أخطاء ذلك الابن نجد الأب المحب يتحنن ويركض إليه ويعانقه. بل ويرد إليه بنوته ذلك الذي كان لا يحلم بأكثر من أن يكون أجيئاً. ليس ذلك فقط بل لقد ألبسه خاتمه ولم يقبل بأقل من العجل المثلث¹.

¹ راجع كتاب تأملات في مثل الابن الضال للمؤلف

هكذا الله المحب يكون في إنتظارنا فاتحاً ذراعيه لكي يقبلنا ويحتضنا ذابحاً لنا العجل المثلث (الذى يرمز لجسد الرب ودمه الكريمين) ملبساً إيانا خاتمه رمز التحرر من الخطية.

(د) الله يدعو الخطاة ويبحث عنهم.

فالسيد المسيح عندما تجسد لخلص الخطاة قال بفمه الطاهر "فَاذْهَبُوا وَتَعَلَّمُوا مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةً لِأَنِّي لَمْ آتِ لِأَدْعُو أَبْرَاراً بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" (مت 9: 13)، (مر 2: 17)، (لو 5: 32).
نفس الموقف لم يتغير عندما أخطأ أبوانا الأولان نجد الرب الإله ينادي أبانا آدم قائلاً "فَنَادَى الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ: أَيْنَ أَنْتَ؟" (تك 3: 9) داعياً إياه للاعتراف والتوبة .

كذلك نجد الرب الإله يخاطب وينادي الخطاة في كل جيل وعصر قائلاً "هَلُمَّ نَحْنَحَاجُ يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقَرْمِزِ تَبْيَضُ كَالنَّالِجِ . إِنْ كَانَتْ حَمَازَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ" (اش 1: 18).

فى مثل عرس ابن الملك نجد أن الملك عندما لم يُرد بنو العرس حضور العرس وهم اليهود قال لعبيده: "فَاذْهَبُوا إِلَى مَقَارِقِ الطُّرُقِ وَكُلُّ مَنْ وَجَدَتْهُ فَادْعُوهُ إِلَى الْعُرْسِ" (مت 22: 9). وأولئك العبيد فعلوا كما أمرهم سيدهم: "فَخَرَجَ أُولَئِكَ الْعَبِيدُ إِلَى الطُّرُقِ وَجَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ وَجَدُوهُمْ أَشْرَاراً وَصَالِحِينَ. فَأَمَلَأَ الْعُرْسُ مِنَ الْمُتَكَبِّينَ" (مت 22

10:). فالله يدعوا الصالحين كما الأشرار والخطاة بشرط أن يتوبوا ليس كما فعل ذلك الإنسان الذي لم يكن لابساً لباس العرس. وما لباس العرس هذا سوى التوبة الصادقة من القلب حسب ما رتبها الله في كنيسته المقدسة.

فالسيد المسيح ينادي الخطاة في كل جيل وعصر قائلاً: "هَنَذَا وَاقِفْ عَلَى الْبَابِ وَأَفْرَعْ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلْ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي" (رؤ 3: 20). كما جاء في سفر النشيد عن صوت الحبيب جاء ينادي عروسه "صَوْتُ حَبِيبِي. هُوَذَا آتٍ طَافِراً عَلَى الْجِبَالِ قَافِراً عَلَى الثَّلَالِ" (نش 2: 8). ورغم تكاسل العروس ونومها الذي يرمز إلي الخطية ورغم ذلك نجد الحبيب يقف علي الباب وينادي قائلاً: "أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَيْقِظٌ. صَوْتُ حَبِيبِي قَارِعاً: «افْتَحِي لِي يَا أُخْتِي يَا حَبِيبَتِي يَا حَمَامَتِي لِأَنَّ رَأْسِي امْتَلَأَ مِنَ الطَّلِّ وَفُصَّصِي مِنْ نَدَى اللَّيْلِ" (نش 5: 2) .

الله محبة حتى مع الخطاة البعيدين عنه يناديهم ويدعوهم علي الدوام حتي يتوبوا ويرجعوا لثمحي خطاياهم. لذا نجده يرسل أنبياءه ورسله وخدامه في كل عصر للمناداة بالتوبة والرجوع عن الخطية .

(هـ) الله يسعى وراء الخاطيء

الله لا ينتظر الخطاة ويدعوهم للتوبة فقط، بل يسعى بنفسه لخلاصهم. فمن الأمثلة الجميلة لذلك مثل الخروف الضال، فقد سعى الله إليه على الجبال لكي يجده. فالخروف ليس له عقل أو إرادة حتى يفكر ويقرر الرجوع مثل أي إنسان تسيطر عليه الخطية فيكون مسلوب الإرادة والعقل ولا يستطيع أن يفكر في التوبة والرجوع. لكن الله من محبته يسعى لخلاص ذلك الخاطئ خلاصه من الخطية وسيطرتها. لذلك يقول السيد المسيح في نهاية مثل الخروف الضال: "مَاذَا تَظُنُّونَ؟ إِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ مِئَةُ خُرُوفٍ وَضَلَّ وَاحِدٌ مِنْهَا أَفَلَا يَتْرُكُ التَّسْعَةَ وَالتَّسْعِينَ عَلَى الْجِبَالِ وَيَذْهَبُ يَطْلُبُ الضَّالَّ؟" (مت 18: 12).

كذلك مثل الدرهم المفقود الذي لن يستطيع أن يجد نفسه فماذا فعلت صاحبتة؟! فيقول السيد المسيح: "أَوْ أَيْةُ امْرَأَةٍ لَهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمَ إِنْ أَضَاعَتْ يَرِهَمًا وَاحِدًا أَلَّا تُوقِدْ سِرَاجًا وَتَكْنِسُ الْبَيْتَ وَتَقْتَنُسُ بِاجْتِهَادٍ حَتَّى تَجِدَهُ؟" (لو 15: 8). هكذا الله كلى الحب الذي خلقنا وجبلنا فهو ملكنا ونحن جبلته عندما نضيع منه بالخطية، نجده يفتش ويبحث عنا باجتهاد وينير ظلمة الخطية التي صنعناها بداخلنا ويطهرنا من كل دنس الخطية حتي يجدنا بل يجددنا ويرجعنا إلي الصورة التي جبلنا عليها حسب صورته ومثاله في البر والقداسة حسب القياس النسبي لا المطلق .

الله كلى الحب عندما رأى الخليقة قد سقطت ولا تستطيع أن

تخلص نفسها لم يقف متفرجاً بل جاء إلي أرضنا متجسداً ومتنازلاً، ليس ذلك فقط بل احتمال كل صنوف الآلام والتعبير حتى الصليب لكي يخلصنا من خطايانا.

(و) الله يحسن إلى الخطاة ويترفق بهم.

يذكر الكتاب المقدس عن الله تبارك اسمه: "... لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسُهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ" (مت 5: 45). وأعظم مثل لتعامل الله بالرفق مع الخطاة هو المثل الذي جاء في (حز ٤٨) حيث شبه السيد الرب أورشليم، بل وكل نفس خاطئة، بامرأة منطرحة مدوسة في دمها وجدها علي الطريق فماذا يفعل بها؟!.. نجده بكل رفق وتحنن يقول: "فَمَرَرْتُ بِكَ وَرَأَيْتُكَ، وَإِذَا زَمَنُكَ زَمَنُ الْحُبِّ. فَبَسَطْتُ ذَيْلِي عَلَيْكَ وَسَتَرْتُ عَوْرَتِكَ، وَحَلَفْتُ لَكَ وَدَخَلْتُ مَعَكَ فِي عَهْدٍ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَصِرْتُ لِي. فَحَمَمْتُكَ بِالْمَاءِ وَغَسَلْتُ عَنْكَ دِمَاءَكَ وَمَسَحْتُكَ بِالزَّيْتِ.. وَأَلْبَسْتُكَ مِطْرَزَةً، وَنَعَلْتُكَ بِالثُّخَسِ، وَأَزَرْتُكَ بِالْكَتَّانِ وَكَسَوْتُكَ بَرًّا، وَحَلَيْتُكَ بِالْحُلِيِّ، فَوَضَعْتُ أَسُورَةَ فِي يَدَيْكَ وَطَوَقَافِي عُنُقَكَ" (حز 16 : 8-11).

هل هناك رفق وتحنن ومحبة أعظم من هذا؟! قد حدث هذا بالفعل عندما جاء رب المجد يسوع من سمائه ووجدنا مطروحين بدماء

الخطية فحمنا بماء المعمودية ومسحنا بدهن الميرون المقدس وكسونا بثوب بره.

(ز) الله يعد الخطاة ويشجعهم

الله في محبته يعد الخاطئ بمواعيد يشجعه على التوبة، من هذه المواعيد:

❖ **مغفرة الخطية:** السيد المسيح بتجسده وصلبه قد منح المغفرة والخلص لجميع البشر، وبدون هذه الشفاعة الكفارية ما حصل أي شخص علي الخلاص ومغفرة الخطايا. ولكن كيف نحصل على هذا الخلاص الذي تم علي الصليب؟! بالتأكيد من خلال دم المسيح؟! وكيف نحصل على دم المسيح؟! عن طريق الإيمان والتوبة الصادقة، والتناول من جسد الرب ودمه، والاعتراف بالخطايا حتى لا نصبح مجرمين في جسد الرب ودمه، لذا أسس السيد المسيح سر التوبة والاعتراف المستمد من سلطان الحل والربط حينما قال السيد المسيح لرسله الاطهار "مَنْ عَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرْ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ" (يو 20: 23). لقد وضع السيد المسيح سر التوبة والاعتراف ومنح كهنته سلطان الحل لأجل الإنسان الخاطئ لكي يطمئن لمغفرة خطاياهم فيتقدم بثقة إلي مذبح الله متناولاً من جسد الرب ودمه لمغفرة الخطايا ودم المسيح: "وَهُوَ

كَفَّارَةً لِّخَطَايَانَا. لَيْسَ لِيَخْطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِيَخْطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ
أَيْضاً" (1يو2: 2) .

هناك وعود كثيرة من الله للخطي الذي يتوب وذلك بمغفرة خطاياه
فقد قال القديس بطرس بالروح القدس: " فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُثْمَحِيَ
خَطَايَاكُمْ لِكِي تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ " (اع3: 19) .

كذلك من محبة الله للخطي التائب وعده بأنه: " لَنْ أَذْكَرَ خَطَايَاهُمْ
وَتَعْدِيَّاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ " (عب10: 17). ويقول الكتاب أيضاً: " لِأَنِّي
أَكُونُ صَفُوحاً عَنْ أَنْمِهِمْ، وَلَا أَذْكَرُ خَطَايَاهُمْ وَتَعْدِيَّاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ "
(عب8: 12). كما يذكر القديس يوحنا " إِنْ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ
أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ " (1يو1
9).

• فرح في السماء وعلى الأرض: من أعمال الله كلي الحب
الخاصة بالتوبة التي تشجع الخطي عند توبته أنه قد وضع طقس
الفرح الذي يلزم التوبة. ليس على الأرض فقط ولا للإنسان الخطي
فقط بل طقس ذلك الفرح يكون في السماء كما قال السيد المسيح: "
أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ
تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ " (لو15: 7). ويكرر ذلك
" هَكَذَا أَقُولُ لَكُمْ يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ " (لو15

(10:). كما نسمع ذلك من القديس متى على لسان السيد المسيح في مثل الخروف الضال: "وَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ يَجِدَهُ فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَفْرَحُ بِهِ أَكْثَرَ مِنَ التَّسْعَةِ وَالتَّسْعِينَ الَّتِي لَمْ تَضِلَّ" (مت 18: 13).

كما يقول في نفس المثل بإنجيل لوقا "وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَرِحاً" (لو 15: 5). ويقول المثل أيضاً "وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ وَيَدْعُو الْأَصْدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائِلًا لَهُمْ: افْرَحُوا مَعِيَ لِأَنِّي وَجَدْتُ خَرْوفِي الضَّالَّ" (لو 15: 6). كذلك في مثل الدرهم المفقود. بل أن الله المحب قد أوجب الفرح لتوبة الخاطئ ورجوعه عن الخطية عندما قال الأب في مثل الابن الضال لابن الأكبر: "وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ لِأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ" (لو 15: 32).

إن الفرح الذي يصاحب التوبة من أكبر المشجعات للخاطئ الذي يشرع في التوبة. ليتنا جميعاً نحس أننا خطاة فنلجأ دائماً بالتوبة التي تتسبب في حدوث فرح لملائكة الله ولكهنته وخدامه ولنا بل والله ذاته .

• وعد الله بقبول توبة الخاطئ: فاللص علي الصليب في آخر ساعات حياته، إذ قال له "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدَوْسِ" (لو 23: 43). وأيضاً "فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ سَكَتُوا وَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللَّهَ قَائِلِينَ: إِذَا أَعْطَى اللَّهُ الْأُمَمَ أَيْضاً التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ!" (أع: 11-18). هكذا يفتح باب الرجاء أمام كل واحد: "هَلْ

مَسْرَةً أُسْرَ بِمَوْتِ الشَّرِيرِ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ؟ أَلَا بِرُجُوعِهِ عَنْ طَرَفِهِ
فِيحْيَا؟" (حز 23:18).

(ح) الله يحذر الخطاة من العقاب الأبدي: فالله قد شرع العقاب
الأبدي في كتابه المقدس ليس لأجل عدله فقط، بل لأجل محبته
أيضاً. فالله يريد أن الجميع يخلصون، كما أنه يعرف أن ليس كل
الناس يرجعون إليه بفضل محبته أو سعيه وراءهم ولا حتى لأجل
إحساناته وخيراته. بل هناك أناس لا يرتدعون إلا تحت نير التهديد
والخوف. لذا وضع الله العقاب الأبدي حتي يتعظ مثل هؤلاء الناس
ويرجعوا إلي راعي نفوسهم الحقيقي.

(ط) الله يقبل الخطاة التائبين: فالسيد المسيح يقول بفمه الطاهر
للخطاة كما لكل الناس: "من يقبل إلي لا أخرجه خارجاً". فهو يقبل
الخاطئ ولو كان في آخر لحظات حياته مثل اللص اليمين علي عود
الصليب. فهو يقبل الخاطئ ولو كانت له مدة طويلة في الخطية، أو
لو كان قد صنع من الخطايا أبشعها أو ما لا يُحصى منها بشرط
التوبة والاعتراف واستحقاق الغفران بدم المسيح وجسده الكريمين
واحتمال أي عقوبة يستحقها سواء دينية أو مدنية.

كما أن هناك كثير من الأمثلة عن قبول الله للخطاة. فهوذا داود النبي
وخطيتا الزنا والقتل. والمرأة السامرية والخمسة أزواج والذي معها ليس

هو بزواج لها والمرأة التي أمسكت في ذات الفعل وموسى الأسود،
والقديس أغسطينوس. والكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة ملئ بالأمثلة
التي تدل علي ان الله لا يشاء موت الخاطئ مثل ما يقبل إليه ويرجع
عن خطاياه ويحيا.

(ي) الله يحب الخطاة التائبين: السيد المسيح له كل المجد عندما أتى
متجسدا ومتألماً ومصلوباً كان ذلك ونحن خطاة كما هو مكتوب:
وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا"
(رو 5: 8). كما قالوا عن السيد المسيح في فترة تجسده علي الأرض:
جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فَتَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشَرِيبٌ
خَمَرٍ مُحِبٌّ لِلْعَشَارِينَ وَالْخُطَاةِ" (لو 7: 34). فها هو يشفق علي المرأة
التي أمسكت في ذات الفعل ولا يدينها. ويدافع عن المرأة الخاطئة في
بيت سمعان غافراً لها خطاياها الكثيرة. ويذهب وقت حر النهار
للسامرة متحدثاً وجاذباً إياها من الخطية إلى الكرازة للسامرة. واللص
اليمين وهو في آخر لحظات حياته على الصليب نجد الرب يظهر
حبه له مستغلاً اعترافه وتوبته ليرسله إلى الفردوس. نعم إن الله حقاً
يحب الخاطئ ولكنه لا يحب الخطية.

(ك) الله يتأني على الخطاة ويطيل أناته عليهم: الله من صفاته أنه
طويل الأناة وخاصة على الخطاة فلو أحصينا كم الخطايا التي حدثت
في يوم واحد من تاريخ البشرية وأحصينا البشاعة التي تحدث بها

سوف نرى كم أن الله يتأني على الخطاة. من المرات القليلة التي اتخذ الله فيها موقف من الخطية حادثة الطوفان وغرق العالم الشرير بأكمله. حتي هذه الحادثة توضح بما لا يدع مجالاً للشك محبة الله للجنس البشري فقد قرر الله بعد هذه الحادثة أن لا يُغرق العالم بالطوفان مرة أخرى لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حدوثه.

إن الله يتأني علي الخاطئ راجياً أن يتوب، فكما سمعنا عن فرعون: "فَمَآذَا إِنْ كَانَ اللَّهُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ وَيُبَيِّنَ قُوَّتَهُ احْتَمَلَ بِأَنَاءٍ كَثِيرَةٍ أَنِيَّةً غَضَبٍ مُّهِيَّةً لِلْهَلَاكِ" (رو 9 : 22). وكما يقول القديس بطرس الرسول: "لَا يَتَّبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمُ التَّبَاطُؤِ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أَنَاسٌ، بَلْ أَنْ يَقْبَلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ" (2بط3 : 9). كذلك يقول القديس بولس الرسول: "أَمْ تَسْتَهِينُ بِغْنَى لُطْفِهِ وَأَمْهَالِهِ وَطُولِ أُنَاتِهِ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللَّهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟" (رو 2 : 4).

لقد وصف القديس بولس الرسول المحبة أنها: "الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ وَلَا تَتَفَخُّ" (1كو 13 : 4).

حتى الأمم الذين عبدوا الأصنام، واتخذوا لهم آلهة أخرى غير الرب، والذي قال عنهم الوحي الإلهي: "قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: لَيْسَ إِلَهٌ. فَسَدُوا وَرَجِسُوا بِأَفْعَالِهِمْ. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا" (مز 14 : 1). نجد أن

السيد المسيح أطل أناته عليهم لمدة تزيد عن خمسة آلاف سنة حتى جاء ملء الزمان الذي دخل فيه الأمم إلى الإيمان. كما نجد السيد المسيح يوصي تلاميذه: "وَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِ وَكُرِّزُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا" (مر16:15) .

كما ظهرت طول أناة الله علي نينوى وعلي يونان، على أهل نينوى المدينة الأممية الخاطئة: "الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ وَبَهَائِمَ كَثِيرَةً!" (يون4:11). وبطول أناة الله، وبكراسة نبيه يونان، تاب أهل نينوى، وصاموا وجلسوا في المسوح والرماد. وغفر لهم الله وقبل توبتهم، كما قبل توبة أهل السفينة أيضاً.

وبنفس طول الأناة تعامل الرب مع يونان، الذي هرب أولاً من وجه الرب واخذ سفينة إلى ترشيش. "فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ فَنَزَلَ إِلَى يَافَا وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشَ فَدَفَعَ أَجْرَتَهَا وَنَزَلَ فِيهَا لِيَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ" (يون1:3). لم يأخذه الرب في وقت خطيئته وهربه، بل أطل أناته عليه على الرغم من عصيانه. وأعد له حوتاً عظيماً ابتلعه ولقنه درساً، فأطاع أخيراً. وذهب ونادى لنينوي حتى تاب شعبها وخلص: "فَقَامَ يُونَانُ وَذَهَبَ إِلَى نَيْنَوَى بِحَسَبِ قَوْلِ الرَّبِّ. أَمَّا نَيْنَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً لِلَّهِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ" (يون3:3). كل ذلك لأن الله في محبته، لا يشاء أن

يموت الخاطئ، بل أن يعطي فرصة لكي يتوب ويرجع فيحياً (خر 18:23).

هكذا في محبة الله، أطل أناته على الخطاة، مثل زكا العشار الذي تعجب الناس من أن يدخل الرب إلي بيته وهو رجل خاطئ. ولكن الرب أعلن قائلاً: "فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْيَوْمَ حَصَلَ خَلَصٌ لِهَذَا النَّبِيِّ إِذْ هُوَ أَيْضاً ابْنُ إِبْرَاهِيمَ" (لو 9:19). وحدث نفس الشيء مع متى العشار، الذي لم يترك فقط مكان الجباية، بل صار واحداً من الاثنى عشر. وبالمثل أطل أناته علي المرأة السامرية التي كان لها خمسة أزواج، وتابت وكرزت به (يو 4) . وأطل أناته علي المجدلية التي أخرج منها سبعة شياطين: "وَبَعْدَمَا قَامَ بَاكِراً فِي أَوَّلِ الْأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلًا لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ أَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينٍ" (مر 9:16). فتبعته وهي التي بشرت التلاميذ بالقيامة.

كما أطل أناته على الابن الضال، الذي كان ميئاً فعاش، وكان ضالاً فوجد: "لَأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ وَكَانَ ضَالاً فُوجِدَ. فَأَبْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ. وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسِرَّ لِأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ وَكَانَ ضَالاً فُوجِدَ" (لو 15: 24: 32).

كما بالأكثر أطل أناته علي شاول الطرسوسي الذي اضطهد الكنيسة بعنف، وحوله إلي رسول عظيم وكارز. هذا الذي قال عن نفسه:

"أنا الذي كُنْتُ قَبْلًا مُجَدِّفًا وَمُضْطَهِّدًا وَمُفْتَرِيًّا. وَلَكِنِّي رُحِمْتُ، لِأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إِيْمَانٍ" (1 تي 1: 13). وقال "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلُّ قُبُولٍ: إِنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخَطَاةَ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أَنَا. لَكِنِّي لِهَذَا رُحِمْتُ: لِيُظْهَرَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِيَّ أَنَا أَوَّلًا كُلَّ أَنَاةٍ، مِثْلًا لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ" (1 تي 1: 15: 16) .

وبالمثل أطال الله أناته علي أريانوس والي أنصنا في عهد دقلديانوس، الذي كان أكثر الولاة تعذيباً للمسيحيين .. وبطول أناة الله عليه، آمن وصار شهيداً.

كما أطال الله أناته حتى تاب خطاة كثيرين وصاروا قديسين. نذكر من بينهم أوغسطينوس الذي تاب وترهب وصار أسقفًا، وكتب تأملات عميقة انتفعت بها الأجيال من بعده، وموسى الأسود الذي تاب وصار أباً للرهبان، وقدوة في المحبة والوداعة . كذلك مريم القبطية التي تابت من زناها، وصارت من السواح، وباركت زوسيم القس.

إن طول أناة الله علي الخطاة يتضح من تلك الشجرة التي ما كانت تعطي ثمرًا، وكانت علي وشك أن تقطع. ولكن قيل عنها: "فَأَجَابَ: يَا سَيِّدُ اتْرُكْهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا حَتَّى أَتَقُبَّ حَوْلَهَا وَأَضَعُ زَيْلًا. فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَرًا وَالْأَفْقِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا" (لو 13: 8، 9).

الفصل السادس

من مظاهر محبة الله للإنسان

من مظاهر محبة الله للإنسان، محبة الآب وتبئين من خلال الخلق، والإعداد للخلاص، إرسال الابن الوحيد، ومحبة كراع للبشر. كما تتجلى مظاهر محبة الله للإنسان خلال تجسده وإخلاء ذاته، والصلب والآلام، كما دعانا أبناء له كراع، ودعانا عروس له وأحبابه. وأعد لنا الحياة الأبدية. كذلك محبة الله الروح القدس من خلال التعليم والإرشاد، وعمله من خلال الأسرار، والتبكيك والحث على التوبة والرجوع.

أولاً : محبة الله الآب

بالطبع أن الله هو جوهر واحد وأقانيمه غير منفصلة بل متحدة في الجوهر الواحد ولكن كما أوضح لنا الكتاب المقدس أن لكل أقنوم دور خاص في محبة الإنسان وإن اشترك معه الأقانيم الأخرى بحسب الجوهر الواحد ففي العهد القديم رغم الدور الرئيسي لله الآب إلا إننا

نجد ظهورات ورموز ونبوات كثيرة للإين وإعلانات كثيرة للروح القدس وعلاقته بالأنبياء ... كذلك في الخلاص الذي تم بواسطة الله الإين نجد دور الآب وشهادته للإين وإرساله إياه وعمل الروح القدس في الحبل البتولي وفي العماد المقدس لحسابنا ... كذلك في الكنيسة الأولى ورغم الدور الرئيسى لأقنوم الروح القدس إلا إن عمل الآب والإين كان مستمراً.

الله واحد مثلث الأقانيم وذلك ما أراد الوحي أن يعلن لنا لذلك سوف ندرس محبة الله من خلال صفاته أو أقانيمه الثلاثة وعملهم المشترك في محبة الإنسان وسنبداً بأقنوم الله الآب الذي ظهرت محبته للإنسان في الأمور التالية:

(1) الخلق: كما قلنا سابقاً إنه ليس هناك سبب لخلق الله للإنسان سوى أن الله محبة. من مظاهر محبة الله للإنسان في الخلق أنه :

(أ) خلق الإنسان علي صورته ومثاله

لقد خلق الله الإنسان سيداً علي الأرض، ومتسلطاً علي كل ما عليها وما تحتها، ما في البحار وما في الهواء. لقد تَوَجَّ الله خليقته الأرضية بخلق الإنسان لا كخليقة وسط مخلوقات بلا حصر، وإنما علي صورته ومثاله، وأقامه سيداً علي الخليقة الأرضية.

لقد أكد الكتاب المقدس تلك المحبة التي ظهرت من الله في خلق الإنسان علي صورته ومثاله من الشواهد التالية: "وَقَالَ اللَّهُ: نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَسْلُطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الْأَرْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَابَاتِ الَّتِي تَدِبُ عَلَى الْأَرْضِ" (تك 1 : 26) .. مؤكداً " فَخَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللَّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (تك 1 : 27).

لقد خلق الله الإنسان علي صورته ليقبل خالقه صديقاً له، يتجاوب معه لا علي مستوى المذلة والضعف وإنما علي مستوى الحرية والحب والصدقة. لقد خلق الله الإنسان علي صورته ومثاله ليكون وارثاً لله ووارثاً مع المسيح، شريكاً معه في المجد الأبدي حتى بعد السقوط نسمع السيد المسيح كلمة الله يقول: "لَا أَعُودُ أَسْمِيكُمْ عَبِيداً لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لِأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي" (يو 15:15).

لقد خلق الله الإنسان مميزاً إياه بأن خلقه علي صورته ومثاله حيث أعطاه العقل الناطق مميزاً إياه عن الكائنات الأخرى ... كذلك علي صورته ومثاله في الخلود فليس هناك خليفة أخرى علي الأرض لها الخلود سوى الإنسان ... كذلك في السيادة والسلطة ولكن الفرق إن الإنسان خلوده وعقله وسيادته ممنوحة من قبل محبة الله. ولقد تأمل العلامة أوريجانوس في محبة الله في خلق الإنسان فقال: "لاحظ

كيف يوجد في خلق الإنسان أمر سام جداً لا نجده في خلق آخر، فخلق الله الإنسان على صورته ومثاله، الأمر الذي لا نجده في خلق السماء أو الأرض أو الشمس أو القمر. الذي صُنع علي صورة الله هو إنساننا الداخلي غير المنظور، غير الجسدي، غير المائت وغير الفاني. بهذه السمات الحقيقية تتصف صورة الله وبها تُعرف".

(ب) خلقه سيداً ومتسلطاً

خلق الله الإنسان كملك على الخليقة، خلق كل شيء من أجله وأعطاه سلطاناً، إذ قال: "وَبَارَكْهُمْ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: أَنْمِرُوا وَاكْتُرُوا وَامْلَأُوا الْأَرْضَ وَأَخْضِعُوهَا وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ" (تك 1: 28). لم يخلقه كائنًا خائفاً في مذلة إنما أرادَه صاحب سلطان على نفسه كما على بقية الخليقة.

(ج) خلقه بعد أن أعد له كل شيء

نقول في القديس الإغريغوري "أنه لم يجعلنا معوزين شيئاً من أعمال كرامته" ... فمن محبة الله للإنسان أعد له ما يأكل وما يشرب وما ينظر بل وعندما رأى الله أنه يوجد شيئاً ناقصاً لدى أدينا آدم خلق له حواء لتكون معيناً نظيره .. بل والأكثر من ذلك لقد كسا الرب الإله

أبويننا الأولين بثوب القداسة والبر حتى أنهما كانا عريانين وهما لا يخجلان كما يشهد سفر التكوين.

• أعد له الخلاص: "وَلَأَجْلَ أَنَّهُ أَحَبَّ أَبَاكَ وَاخْتَارَ نَسْلَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَخْرَجَكَ بِحَضْرَتِهِ بِقُوَّتِهِ الْعَظِيمَةِ مِنْ مِصْرَ" (تث 4: 37). ويقول أيضاً: "بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِلَيْكُمْ وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لِأَبَائِكُمْ أَخْرَجَكُمْ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَقَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ" (تث 7: 8). كذلك يقول الوحي: "وَلَكِنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا التَّصَقَّ بِأَبَائِكَ لِوَحْبَتِهِمْ فَاخْتَارَ مِنْ بَعْدِهِمْ نَسْلَهُمْ الَّذِي هُوَ أَنْتُمْ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ كَمَا فِي هَذَا الْيَوْمِ" (تث 10: 15). كما يقول الوحي أيضاً: "وَلَكِنْ لَمْ يَشَأِ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَنْ يَسْمَعَ لِبَلْعَامَ فَحَوَّلَ لِأَجْلِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ اللَّعْنَةَ إِلَى بَرَكَةٍ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكَ قَدْ أَحَبَّكَ" (تث 23: 5).

• محبته كراعٍ: من أمثلة محبة الله لنا كثيراً ما شبه الكتاب المقدس علاقتنا بالله علاقة راعٍ بخرافه ومدى محبة الراعي لغنمه. وفي ذلك يقول السيد الرب في العهد القديم: "أَنَا أَرْعَى غَنَمِي وَأُرْبِضُهَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَطْلُبُ الضَّالَّ، وَأَسْتَرِدُّ الْمَطْرُودَ، وَأَجْبُرُ الْكَسِيرَ، وَأَعْصِبُ الْجَرِيحَ، وَأُبِيدُ السَّمِينَ وَالْقَوِيَّ، وَأَرْعَاهَا بِعَدْلٍ" (حز 34: 15، 16). أيضاً يقول الكتاب المقدس: "كَمَا يَفْتَقِدُ الرَّاعِي قَطِيعَهُ يَوْمَ يَكُونُ فِي وَسْطِ غَنَمِهِ الْمُشْتَتَّةِ، هَكَذَا أَفْتَقِدُ غَنَمِي وَأُخَلِّصُهَا مِنْ

جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَشَتَّتَتْ إِلَيْهَا فِي يَوْمِ الْغَيْمِ وَالضَّبَابِ" (حز 34: 12).

في العهد الجديد نجد السيد المسيح يقول: "أنا هو الرَّاعِي الصَّالِحُ وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذُلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ" (يو 10: 11). "... وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الْأَبَدِ وَلَا يَخْطِفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدَيَّ" (يو 10: 28). ومن أمثله محبة الراعي في تحننها، قول الكتاب عن السيد المسيح أنه تحنن علي الخروف الضال، إذ خرج يبحث عنه حتى وجده، وحمله على منكبيه، "أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خُرُوفٍ وَأَضَاعَ وَاحِدًا مِنْهَا أَلَا يَتْرُكُ التَّسْعَةَ وَالتَّسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَذْهَبَ لِأَجْلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكَبِيهِ فَرِحًا" (لو 15: 4، 5) إنها المحبة .

ثانياً : محبة الله الابن

• التجسد وإخلاء ذاته:

يقول القديس يعقوب السروجي: " الحب جذب الرب وأنزله من مسكنه وخلطه بالناس، ليكون السيد صاحباً لعبيده ... بالحب نزل ابن الله من عند أبيه، وصار إنساناً واحتمل آلام الصليب، الحب حبسه داخل البطن وداخل القبر وهو الابن الجبار الذي الخليقة قائمة بقدرته"

كما يقول أيضاً: "أي ملك كان له قوة أن يفعل هكذا وأن يسلم ابنه عوض المسبيين ليردهم، من من الأغنياء يسهل عليه أن يبد غناه على المتصدقين من أجل حبه لكي يغنيهم ؟! من يعطي ابنه ضحية ليصير ذبيحاً عوض الخطاة ليأتي بهم إلي التوبة".

• الصلب والآلام .

يقول الرسول بولس: "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا" (رو 5 : 8). ويقول القديس يوحنا: "بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَلِكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نَفُوسَنَا لِأَجْلِ الْإِخْوَةِ" (1يو 3 : 16). ويقول أيضاً: "بِهَذَا أَظْهَرْتُ مَحَبَّةَ اللَّهِ فِيْنَا: أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ" (1يو 4 : 9). ويقول أيضاً: "فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللَّهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحْبَبَنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (1يو 4 : 10). وكذلك يقول: "وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي لِلَّهِ فِيْنَا. اللَّهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَنْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَنْبُتْ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ فِيهِ" (1يو 4 : 16).

"لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو 3 : 16). ويقول الإنجيل المقدس "لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو 15 : 13).

ويقول القديس بولس: "الله الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا" (اف 2 : 4). والقديس بولس يقول: "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لَأَجْلِي" (غل 2 : 20) .

" أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيُنْقَلَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْآبِ إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى" (يو 13 : 1).

• الفداء والخلاص .

كَمَا يَقُولُ فِي هُوشَعَ أَيْضًا: «سَادَعُوا الَّذِي لَيْسَ شَعْبِي شَعْبِي وَ الَّتِي لَيْسَتْ مَحْبُوبَةً مَحْبُوبَةً " (رو 9 : 25). ويقول أيضاً: "وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الْأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَرَبِّيسِ مُلُوكِ الْأَرْضِ. الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ" (رو 1 : 5) .

• أعد الرب لنا الأبدية في ذلك يقول الكتاب المقدس: "أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ " (يو 17 : 24). بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (1كو 2 : 9) .

● محبة السيد المسيح لنا نابعة من محبة الآب لابن. في ذلك يقول السيد المسيح: "وَعَرَّفْنَهُمْ اسْمَكَ وَسَأَعْرِفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمْ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو 17: 26) .

● دعانا أبناءه بالتبني. فمن أهم العلامات التي تنم عن الحب الشديد، علاقة الأب بابنه، والابن بأبيه. لذا لم يجد الله لقباً أو لفظاً إنسانياً يدل على محبته لابن الوحيد ومحبته للبشر سوى لفظ "الآب". علاقة الابن بابنه هي علاقة حب دائم ومستمر، حب ببذل وتضحية. لذا اختار الآب السماوي أن يرسل ابنه الحبيب لكي يُصلب عن البشر لكي يوضح للبشر عمق محبة الله للجنس البشري "الَّذِي بَدَّلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشَّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللَّهِ وَأَيْبِنَا" (غل 1: 4).

لذا سوف نبحث موضوع أبوة الله في النقاط التالية:

(أ) الله أب لنا: كثيراً ما يشهد الكتاب المقدس بأن الله أب لنا نحن الجنس البشري. هكذا شهد السيد المسيح الذي ردنا إلي بنوتنا الضائعة لله. وقد تكررت شهادة السيد المسيح بأن الله أبونا فقط في الموعظة على الجبل حوالي ثلاث عشرة مرة في الشواهد التالية: "(مت 5: 16)، (مت 5: 48)، (مت 6: 1)، (مت 6: 4)، (مت 6: 6)، (مت 6: 9)، (مت 6: 14)، (مت 6: 15)، (مت 6: 18)، (مت 6: 26)، (مت 6: 32)، (مت 7: 11)، (مت 7: 21) .

بل لقد علمنا السيد المسيح أن نفتتح كل صلواتنا بالصلاة الربانية: "فَقَالَ لَهُمْ: مَتَى صَلَّيْتُمْ قُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ لِيَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ" (لو 11 : 2). كما أن السيد المسيح في أحاديثه الكثيرة عن أبوة الله لنا بين محبة الله لنا ورعايته كأب عندما قال: "لَأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمْ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمْ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ" (مت 10 : 20). وفي قوله أيضاً: "أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفِلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لَا يَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ" (مت 10 : 29) .

كما يقول الإنجيل المقدس: "هَكَذَا لَيْسَتْ مَشِيئَةُ أَمَامَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدٌ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ" (مت 18 : 14) . بل لقد جعل السيد المسيح من الملوك ملكوت أبنا حينما قال: "حِينَئِذٍ يُضِيءُ الْأَبْرَارُ كَالشَّمْسِ فِي مَلَكُوتِ أَبِيهِمْ. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ" (مت 13 : 43). وقد فرق السيد المسيح بين أبوة الله لنا وكل أنواع الأبوة الأخرى حينما قال: "وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَبَاً عَلَى الْأَرْضِ لِأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت 23 : 9) .

لقد وضع السيد المسيح مطالب لكي نستحق تلك الأبوة .. فلكي ننالها يجب علينا الإيمان بالمسيح ... يجب أن نكون متشبهين بأبينا السماوي في المغفرة "وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فَاعْفُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى

أَحَدِ شَيْءٍ لِّكَ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلَّاتِكُمْ"
(مر 11: 25) .

وقال أيضاً: "وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا أَنْتُمْ لَا يَغْفِرُ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ
أَيْضاً زَلَّاتِكُمْ" (مر 11: 26) .. في الرحمة "فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ
أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ" (لو 6: 36) .. كما أننا مطالبون بالكمال "فَكُونُوا
أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت 5: 48).
كما أننا مطالبون بالقداسة كما أن أبانا السماوي قدوس وكامل.

ما أجمل عبارة السيد المسيح للمرأة نازفة الدم: "يَا ابْنَةُ إِيْمَانِكِ قَدْ
شَفَاكَ. اذْهَبِي بِسَلَامٍ وَكُونِي صَاحِبَةً مِنْ دَانِكَ" (مر 5: 34)، (لو 8:
48). كذلك عبارة التعزية التي قالها السيد المسيح في إنجيل لوقا:
"لَا تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ لِأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سَرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمْ الْمَلَكُوتَ"
(لو 12: 32).

كما أن القديس بولس الرسول قد أبرز أبوة الله لنا فتكاد لا تخلو
رسالة من رسائله الأربعة عشرة من افتتاحية بأن يعطيهم السلام
دامجاً كلمة الله بأبينا وعلي سبيل المثال "نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ
أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (1كو 1: 3)، (في 1: 2)، (كو 1: 2)، (2تس 1:
1)، (2تس 1: 2)، (1تس 1: 1)، (1تي 1: 2)، (فل 1: 3)، (في 4: 20)،
(1تس 1: 3)، (1تس 3: 11). والقديس بولس الرسول قد أوضح لنا

بركات تلك الأبوة ومنها الثقة وعدم الخوف " إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ
الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّنَبُّيِّ الَّذِي بِهِ نَصْرُحُ: «يَا أَبَا
الْآبِ!» " (رو 8: 15) .

لكن يجب أن نفرق بين أبوة الآب للابن وأبوة الآب لنا ... فهو الابن
الوحيد ونحن أبناء بالتبني. هو الابن الوحيد لأنه من جوهر الآب
فهو الله مولود من الآب قبل كل الدهور. لذا نجد السيد المسيح له
كل المجد أراد أن يوضح لنا الفرق عندما قال لمريم المجدلية فجر
أحد القيامة: " قَالَ لَهَا يَسُوعُ «لَا تَلْمِسِينِي لِأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي.
وَلَكِنْ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي
وَالْهَيْكُلُ» " (يو 20: 17). فالسيد المسيح أراد أن يميز بين بنوتنا نحن
وبنوته الوحيدة للآب لذا لم يقل " أبينا" ولكنه قال "أبي وأبيكم" هناك
فرق بالتأكيد ..

يجب أن نلاحظ أن أبوة الله لنا لم تكن في العهد الجديد فقط بل أبوة
الله ومحبه لنا دائمة منذ خلقنا لذا نسمع سفر التكوين يقول قبيل
الطوفان "أَنَّ أَبْنَاءَ اللَّهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لَأَنفُسِهِمْ
نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا" (تك 6: 2). وكما يشهد سفر الحكمة: " لكي
تكون الارض التي هي اكرم عندك من كل ارض عامرة بابناء الله
كما يليق بها: " فعلت ذلك أيها الرب لتكون الأرض التي هي اعز
عليك من كل ارض موطننا لائقا بأبناء الله" (الحكمة 12: 7).

لقد تمنى وتنبأ هوشع النبي قائلاً: "لَكِنْ يَكُونُ عَدُوٌّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرْمِلِ الْبَحْرِ الَّذِي لَا يَكَالُ وَلَا يُعَدُّ وَيَكُونُ عِوَضًا عَنْ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ: لَسْتُمْ شَعْبِي يُقَالَ لَهُمْ: أَبْنَاءُ اللَّهِ الْحَيِّ" (هو 1: 10). لقد خلقنا علي صورته ومثاله لكي نكون فيما بعد علي صورة ابنه في القداسة والبر.

(ب) نحن أبناء الله: من محبة السيد المسيح لنا صار هو ابن الإنسان لنصير نحن أبناء الله وذلك من خلال الإيمان به كما يقول القديس بولس الرسول: "لَأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللَّهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ" (غل 3: 26). وكما يقول القديس يوحنا الحبيب "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يو 1: 12).

إن بنوتنا نحن لله الذي منحنا أياها لهي أكبر تعبير وتأكيد على محبة الله لنا "أَنْظَرُوا آيَةً مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الْآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللَّهِ! مِنْ أَجْلِ هَذَا لَا يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ" (1يو 3 : 1). فنحن كأولاد الله يجب أن نتمثل به في المحبة وصنع والسلام: "طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ" (مت 5: 9).

كما نتمثل به في محبة الجميع بدون تفرقة "لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسُهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ" (مت 5: 45). ما أجمل عبارة السيد

المسيح لتلاميذه والمؤمنين به "يَا أَوْلَادِي أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا قَلِيلًا بَعْدُ. سَتَطْلُبُونَنِي وَكَمَا قُلْتُ لِلْيَهُودِ: حَيْثُ أَذْهَبُ أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَأْتُوا أَقُولُ لَكُمْ أَنُّنْتُمْ الْآنَ" (يو 13: 33) .

بل أن هذه البنوة من محبة الله سوف تدوم وتستمر في الأبدية هكذا يقول السيد المسيح "إِذْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضًا لِأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلَائِكَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ" (لو 20: 36). كذلك هذه البنوة سبباً وشرطاً لكي نرث مع السيد المسيح "فَإِنْ كُنَّا أَوْلَادًا فَإِنَّا وَرَثَةُ أَيْضًا وَرَثَةِ اللَّهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَّأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَّجِدَ أَيْضًا مَعَهُ" (رو 8: 17). فبفضل محبة الله وبنوتنا له يقول الكتاب أننا سنكون مثل السيد المسيح: "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، الْآنَ نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (1يو 3: 2). بالتأكيد ليس مثله في الإلهوة، ولا علي مستوي بنوة الابن الوحيد لأبيه. ولكن مثله في المجد والنور حسب ما هو يهب علينا ويمنحنا.

كما يطلق القديس بولس الرسول علي أمجاد الأبدية والملكوت حرية مجد أولاد الله "لَأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلَادِ اللَّهِ" (رو 8: 21). فبنوتنا لله مشروطة بالإيمان بالسيد المسيح وبأن نحبه ونحفظ وصاياه "بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نُحِبُّ أَوْلَادَ اللَّهِ: إِذَا أَحْبَبْنَا اللَّهَ وَحَفِظْنَا وَصَايَاهُ" (1يو 5: 2). وإن كان الآب والابن

يشتركان في بنوتنا لله كذلك الروح القدس الذي يشهد لنا "الروح نفسه أيضاً يشهد لأزواجنا أننا أولاد الله" (رو 8 : 16).

إن الله يريد دائماً أن يذيب الحاجز الذي وضعه الإنسان فيما يتعلق بعلاقة العبودية. ولأن الله يريد أن العلاقة بينه وبين الإنسان تكون علاقة حب وود وتفاهم لذا نراه مراراً وتكراراً يدعو الله الإنسان ابناً.

(ت) نحن إخوة للمسيح: ليس هناك حباً أكثر من هذا بأن نُدعي نحن التراب والرماد أخوة للمسيح. يجوز عندما نكون نحن أبناء لله وهو أبونا يكون هناك تمييز ولكن أن يضعنا على قدم المساواة بأن يطلق علينا أخوته، هذه محبة لا نستحقها. والشواهد كثيرة منها قول بولس الرسول: "لأن الذين سبقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بِكَرَابِينَ إِخْوَةً كَثِيرِينَ" (رو 8: 29). كما السيد المسيح نفسه صرح قائلاً "لأن من يصنعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي" (مت 12: 50)، (مر 3: 35)، (لو 8: 21). وفي نفس الموقف نسمع في الإنجيل "تَمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي" (مت 12: 49).

بل والأفضل من ذلك يطلق السيد المسيح علي الفقراء والمساكين لقب إخوته "فَيَجِيبُ الْمَلِكُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدٍ إِخْوَتِي هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت 25: 40). فالكنيسة إلى الآن تطلق علي المساكين والفقراء "أخوة الرب، أو أخوة يسوع الأصاغر" .

كما نجد بعد قيامة المسيح وظهور مجده نجد المسيح يقول للمريمات "فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «لَا تَخَافَا. اذْهَبَا قَوْلًا لِإِخْوَتِي أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْجَلِيلِ وَهُنَاكَ يَرَوْنِي»" (مت 28: 10). هكذا قال لمريم المجدلية في ظهور آخر "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «لَا تَلْمِسِينِي لِأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي. وَلَكِنْ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ»" (يو 20: 17) .

نحن أخوة للمسيح وذلك بسبب تجسده وأنه صار ابن الإنسان، وذلك فضل كبير من محبة الله لنا. من أجل ذلك يجب أن نتشبه نحن بمن تفضل ودعانا أخوة له وذلك أن نكون مشابهين له في المحبة والبذل والتضحية والقداسة والبر حسب طاقتنا الإنسانية. بل والأكثر من ذلك فمن مظاهر محبة الله لنا ليس فقط أنه دعانا أولاده أو أحبابه. فالبنوة والأخوة فيها فصل وإنما أيضاً من محبته أنه أراد أن نلتصق ونتحد به.

(ث) دعانا الرب يسوع أحبائه، وذلك كما قال: "لَا أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عِبِيداً لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لِأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي" (يو 15:15). ويقول القديس يعقوب: "لَا تَضِلُّوا يَا إِخْوَتِي الْأَحِبَّاءَ" (يع 1 : 16). وقال الرب يسوع نفسه: "أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَيَّ وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي" (يو 17: 23). ويقول القديس بولس: "وَرَبُّنَا نَفْسُهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَاللَّهُ أَبُونَا الَّذِي أَحَبَّنَا وَأَعْطَانَا عَزَاءً أَبَدِيًّا وَرَجَاءً صَالِحاً بِالنِّعْمَةِ" (2تس 2: 16).

(ج) جعلنا أعضاء لجسده (المسيح) وهيكل الله لكي يسكن فينا.

يقول السيد المسيح "أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَيَّ وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي" (يو 17: 23)، "وَعَرَفْتَهُمْ اسْمَكَ وَسَأَعْرِفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمْ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو 17: 26). نلاحظ في الآيتين السابقتين العلاقة الوثيقة بين محبة الله وسكانه فينا.

ويقول الرسول بولس "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحْبَبَّنِي وَأَسَلَّمَ نَفْسَهُ لَأَجْلِي" (غل 2: 20). ويقول أيضاً "وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيئَةِ وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَّةٌ"

بِسَبَبِ الْبَرِّ" (رو8: 10). وأيضاً: "يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غل4: 19). "الذين اراد الله ان يعرفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم، الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد" (كو1: 27). ليس فقط أن المسيح فينا بل نحن أيضاً في المسيح "بل إنني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربّي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية لكي أرتح المسيح، وأوجد فيه، وليس لي بري الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان" (في3: 8،9). والقديس يوحنا يقول: "وأما من حفظ كلمته، فحقاً في هذا قد تكملت محبة الله. بهذا نعرف أننا فيه" (1يو2: 5).

وسائل الثبات في المسيح

قد بين الكتاب المقدس وسائل الثبات في المسيح حيث قال الرب: "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه" (يو6: 56). أيضاً: "من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه وهو في الله" (1يو4: 15). أيضاً: "ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا. الله محبة، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه" (1يو4: 16)، "ومن يحفظ وصاياهم يثبت فيه وهو فيه. وبهذا نعرف أنه يثبت فينا: من الروح الذي أعطانا" (1يو3: 24) ..

هكذا وضعت لنا الآيات السابقة أربع وسائل لهذا الثبات المتبادل (في الله والله فينا) وهم الإيمان - المحبة - حفظ الوصايا - التناول من جسد الرب ودمه. مع ملاحظة أنه لا يمكن لبشري أن يتحد باللاهوت أي بطبيعة اللاهوت أو جوهره أو أحد أقانيمه. فالشخص الوحيد الذي تم فيه اتحاد اللاهوت بالناسوت هو السيد المسيح، في بطن العذراء مريم. أما نحن البشر فإن الذي يحدث لنا فهو حالة حلول للنعم والمواهب، كما نقول في قطع الساعة الثالثة للروح القدس "هلم تفضل وحل فينا". وكما يقول الرسول بولس "لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ" (اف 3: 17). ويقول القديس بطرس الرسول "إِنْ غُبِرْتُمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ فَطُوبَى لَكُمْ، لِأَنَّ رُوحَ الْمَجْدِ وَاللَّهُ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ. أَمَّا مِنْ جِهَتِهِمْ فَيَجْدَفُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا مِنْ جِهَتِكُمْ فَيَمَجِّدُ" (1بط 4: 14). وكما نقول في سفر الرؤيا "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ وَيَخْدِمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلًا فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ" (رؤ 7: 15) .

(ح) أعد الرب يسوع لنا الملكوت السماوى:

يقول القديس يعقوب: "اسْمَعُوا يَا إِخْوَتِي الْأَحْبَاءَ، أَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ فَقَرَاءَ هَذَا الْعَالَمِ أَغْنِيَاءَ فِي الْإِيمَانِ، وَوَرَثَةَ الْمَلَكُوتِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ؟" (يع 2: 5). كما يقول القديس بولس: "بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ»" (1كو 2: 9).

الفصل السابع

كيف نصل الى محبه الله

عندما يتسأل شخص قائلاً كيف نحب الله؟ وكيف نحب من لانعرفه؟. هناك عدة خطوات تصل بالإنسان المؤمن إلي محبة الله. أولى هذه الخطوات يجب علينا أن:

1. نعرفه ونتقرب إليه، ونتحدث معه، ونتأمل فيه، ونتحد به.

لكي نحب الله يجب أن نتعرف عليه وذلك خلال قراءة الكتاب المقدس حيث نتعرف على صفات الله، على قوته وقدرته، على محبته وعطفه، نتعرف على وصاياه، نتعرف على كيفية علاقته بالبشر، وماذا يطلب منا. كذلك من خلال الكتاب المقدس نسمع صوت الله ونرى ونختبر كم هو جميل وطيب ورعوف فنحبه. فهل من أحد يسمع صوت الله القائل: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (مت 11: 28). أو قوله: "هَلُمَّ نَتَحَاجَّ يَقُولُ الرَّبُّ. إِنَّ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْفَرَمَزِ تَبْيِضُ كَاللَّجَجِ. إِنَّ كَانَتْ حَمَرَاءَ كَالثُّودِيِّ تَصْبِرُ كَالصُّوفِ" (اش 1: 18). من يسمع صوت الله هذا ولا يحبه ويأتي إليه ؟!.

نتعرف على الله من خلال أنبيائه وقديسيه الذين أحبوه ودخلوا في علاقة محبة معه فننتعرف على ما قالوا عنه .. نتعرف من خلالهم على اختبارتهم الشخصية معه. نتعرف على الله من خلال كشفه وإظهاره تلك المعرفة لنا كما يقول الكتاب: "إِذْ مَعْرِفَةُ اللَّهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ" (رو 1: 19).

نتعرف على الله من خلال الطبيعة، من خلال الشمس وضوئها وحرارتها، من خلال المياه وقدرتها علي الإنماء، من خلال النباتات والأزهار واختلاف أنواعها وألوانها وأطوالها، من خلال الحيوانات واختلاف قوتها وسرعتها وذكائها، من خلال الفضاء واتساعه وثباته، نتعرف علي كل ذلك فننتعرف على قوة الله وقدرته.

نتعرف على الله أيضاً من خلال الاختبارات الشخصية في حياتنا اليومية وكيف يحفظنا ويسترنا ويعيننا، نتعرف على الله من خلال كل ذلك فنحبّه.

هناك وسيلة قد تكون سلبية أو نقول عنها بدايات لكي نصل إلي معرفة الله، وهي أن نبتعد عن أخطائنا وزلاتنا، فحيث توجد الخطية لامكان لمعرفة الله وذلك حسب ما رد على فم القديس بولس الرسول: "هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلُوٍّ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلِّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" (كو 2: 5).

إن معرفة الله هذه يطلبها الله أكثر من المحرقات والذبائح كما يقول هوشع النبي "إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لَا نَبِيحَةً وَمَعْرِفَةَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرِقَاتٍ" (هو 6: 6). لذا وجب علينا أن ننمو في تلك المعرفة ولا نتوقف عند نقطة معينة فالله غير محدود كذلك معرفته أيضاً غير محدودة "لِئَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ، فِي كُلِّ رِضَى، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ" (كو 1: 10). فمعرفتنا لله تدفعنا دفعاً إلى الوسيلة الثانية في كيفية الوصول إلى محبة الله وهي:

2. نتقرب (نقترب) إلى الله.

نقترب إلى الله بالذهاب إلى بيته والتعرف على عروسه (الكنيسة) وأولاده (المؤمنين) وخدامه (الكهنة). كما نقترب إلى الله من خلال أسرار المقدسة، سر التوبة والاعتراف، فننتطهر ونقدس حتى يجوز لنا الاقتراب إلى الله كما تشترط الشريعة: "لَكِنْ إِلَى الْحِجَابِ لَا يَأْتِي وَالْإِلَهُ الْمَذْبَحِ لَا يَقْتَرِبُ لِأَنَّ فِيهِ عَيْباً لِيَنَظَرَ مَقْدِسِي لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدَّسُهُمْ" (لا 21: 23). لذلك نتقرب إلى الله من خلال وسائط النعمة التي نمارسها داخل كنيسته من اجتماعات وقداصات وصلوات.

نقترب إلى الله ليس بأجسادنا فقط بل بقلوبنا وأرواحنا ليس كما عاتب الرب شعبه قديماً قائلاً "يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَغِدٌ عَنِّي بَعِيداً" (مت 15: 8). نقترب إليه بمخافة

وقداسة كما يشترط الكتاب المقدس: "وَلْيَتَقَدَّسْ أَيْضاً الْكَهَنَةُ الَّذِينَ يَفْتَرِبُونَ إِلَى الرَّبِّ لِئَلَّا يَبْطِشَ بِهِمُ الرَّبُّ" (خر 19: 22).

إن التقرب إلى الله من نتائجه اقتراب الله بنفسه إلينا: "افْتَرِبُوا إِلَى اللَّهِ فَيَفْتَرِبَ إِلَيْكُمْ. نَقُوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهَّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّاغِبِينَ" (يع 4: 8). وينتج عن معرفة الله والتقرب منه الخطوة والوسيلة الثالثة من وسائل محبتنا لله.

3. نتحدث مع الله

لا محبة لله خارج دائرة الصلاة ... فالصلاة هي ترمومتر محبتنا لله. فإن أردت أن تعرف مقياس محبة أي شخص لله يكون ذلك من خلال كم وعمق صلواته. فالإنسان الذي لا يُصلي، لا يوهم نفسه أنه يحب الله، لأن الصلاة هي علامة الحب بيننا وبين الله، خاصة الصلاة الفردية لذا يوصينا السيد المسيح: "وَأَمَّا أَنْتَ فَهَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مَخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عِلَاقَةً" (مت 6: 6). فالصلاة الفردية عبارة عن علاقة محبة شخصية مع الله.

نحن نسمع عن السيد المسيح وهو بالجسد أنه: "فِي تِلْكَ الْآيَاتِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلَاةِ لِلَّهِ" (لو 12: 12). لكي يعلمنا السيد المسيح أهمية الصلاة للوصول للحب. كذلك

يجب أن تُمارس الصلاة بحب لذا عرفها السيد المسيح على أنها علاقة بين ابن وأبيه: " فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَسَّ اسْمُكَ " (مت 6: 9).

هناك وجه آخر للحب في الصلاة وهي الصلاة من أجل الآخرين. من أجل المرضى والمسافرين. بل من أجل الأعداء والمسيئين. هكذا علمنا السيد المسيح أن الصلاة محبة للآخرين والمسيئين: " وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فَاغْفِرُوا إِنَّ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلَّاتِكُمْ " (مر 11: 25). ومرة أخرى يوصينا قائلاً: " وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِينِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ " (مت 5: 44). فلا يستطيع أحد أن يمارس الصلاة الدائمة التي أوصى بها السيد المسيح: " وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلًا فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلَا يُمَلَّ " (لو 18: 1). وكما قال الرسول بولس: " صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ " (1 تس 5: 17). لا يمكن لأحد أن يصل إلي هذه الصلاة إلا من خلال الحب، فبدون الحب لا يمكن أن يستمر أحداً في الصلاة.

إن الصلاة التي تكون دافعها الحب، تكون من نتائجها الحب أيضاً. فمن خلال الصلاة تنفتح أذهاننا وتتحلل أجسادنا وتتسع مداركنا فنحس ونشعر بوجود الله خالقنا ويُنعم علينا بهباته السماوية، وكأننا

انتقلنا من الأرض إلى السماء فيكون ذلك أفضل طريق للوصول إلى
محبة الله.

لاشك أن البداية قد تكون الصلاة بتغصب وبمحاولة مواظبة دائمة: "وَاطْبُوا عَلَى الصَّلَاةِ سَاهِرِينَ فِيهَا بِالشُّكْرِ" (كو 4 : 2). ولكن لا يمكن أن تستمر الصلاة بالتغصب، ويجب أن يتدخل الحب، والصلاة هي التي سوف تلد الحب، عندما نشعر من خلال الصلاة أننا نحصل على المغفرة ونقاوة القلب وحياة القداسة والطهارة، وذلك من وجودنا في الحضرة الإلهية وبنقاوة القلب لا نصل فقط إلى محبة الله فقط بل إلى رؤيته بحسب ما تستطيع طبيعتنا البشرية: "طُوبَى لِلْأَنْفِيَاءِ الْقُلُوبِ لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" (مت 5 : 8) .

4. التأمل في الله ومحبه وأعماله.

لقد نصح الله أيوب البار بالتأمل قائلاً "أُنصِتْ إِلَى هَذَا يَا أَيُّوبُ وَقِفْ وَتَأَمَّلْ بِعَجَائِبِ اللَّهِ" (اي 37 : 14). وداود النبي يخاطب الله قائلاً "تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْقَدَمِ. لَهَجْتُ بِكُلِّ أَعْمَالِكَ. بِصَنَائِعِ يَدَيْكَ أَتَأَمَّلُ" (مز 143 : 5). كذلك فإن الحكيم يشوع بن سيراخ ينصح ويقول: "فتأمل تجد جميع أعمال العلي اثنين اثنين، الواحد نقيض الآخر" (سيراخ 33 : 15). كما يقول أيضاً: "تأمل في أوامر الرب، وفكر في وصاياه كل حين، فهو يمنحك ثبات القلب، ومن الحكمة يعطيك ما

تستهييه" (سيراخ 6: 37). ويقول كذلك: "طوبى للرجل الذي يتأمل في الحكمة و يتحدث بها في عقله"(سيراخ 14: 22).

إن التأمل في الله، وفي صفاته يولد فينا محبة قوية لله، وخاصة التأمل في محبته. نحن عندما نتأمل في صفة محبة الله لنا يمتلئ قلبنا بمحبة كبيرة لله. فإن أردنا أن نصل إلي محبة الله ونقتنيها علينا بالتأمل في محبة الله التي ظهرت في الخلق، وفي تدبير الخلاص وفي التجسد والفداء وفي ملكوته الذي أعدها لنا .

إن التأمل في محبة السيد المسيح لنا وآلامه عنا، كفيلة أن تملئ قلبنا بمحبته والعرفان له والثقة فيه. لبيتنا نقرأ ونتأمل في الأناجيل الأربعة ونبحث في عبارات ومواقف الحب من السيد المسيح نحو البشرية وكيف كان يتحنن ويعطف ويجول يصنع خيراً، وعندئذ سوف يمتلئ قلبنا حباً لله ولل قريب والبعيد بل وللأعداء.

كذلك التأمل في حياة رجال الله وكيفية انكالهم على الله المحب كما يقول الكتاب: " انظروا الى الاجيال القديمة و تاملوا هل توكل احد على الرب فخرى" (سيراخ 2: 11). المحبة ليست فقط هي التي يمكن أن نتأمل فيها، بل هناك صفات كثيرة لله يمكننا أن نتأملها فنحبه. فليس كل الناس ميولهم واحدة. ولا كل الصفات يمكن أن تجذب كل

شخص. ليتنا نتأمل في قوته وقدرته، نتأمل في حفظه وحراسته لنا، نتأمل في ملكوته وأبديته.

أيضاً التأمل في الطبيعة، في الكون والفضاء، في النباتات وكيفية نموه، في الحيوان والطير وكيفية غذائه، يولد فينا مشاعر الحب لله في ذلك يقول سفر الحكمة: "ان جميع الذين لم يعرفوا الله هم حمقى من طبعهم لم يقدروا ان يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة و لم يتاملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها" (الحكمة 13: 1). فالتأمل في الطبيعة يولد فينا الإيمان بالله ومن خلاله نصل إلي الحب، فليس حب بدون إيمان.

التأمل يأتي بتحديد وقت للخلوة والانفراد وذلك لقراءة الكتاب المقدس والصلاة والتأمل من خلالهما. كذلك يأتي بالخروج المنفرد إلي الجبال والأديرة، وإلى الحقول والمزارع والأنهار، والتأمل فيما حولنا. فالتأمل يأتي بالدخول إلي أعماق قلوبنا واكتشاف الله الموجود بداخل تلك الأعماق لكي نتأمل فيه.

5. يجب أن ندخل في علاقة مع الله.

إن الدخول في العلاقة مع الله من أهم العوامل التي تساعد على محبة الله، ذلك من خلال الاشتياق إليه والشعور به ومناجاته على الدوام، واللجوء إليه في كافة الأمور ومحبة المكوث في حضرته

وتحت ظل جناحيه، وهذا يأتي بالصلاة الدائمة وحياة الطهارة والقداسة.

الدخول في علاقة روحية مع الله يستوجب الانفصال عن أية محبة أخرى، عدا محبة الله والاكتفاء بالله وعدم الحاجة أو العطش لأي من أمور العالم سواء كانت خطية أو تسلية أو حتى أشياء نخالها صالحة .. بمعنى أشمل الشبع بالمسيح وفي المسيح ...

وهذه المشاعر الجميلة لا نقتنيها بمجهودنا الفردي ولا بتدريب معين ولكن هذه المشاعر مصدرها وفاعلها هو الله نفسه والروح القدس وذلك عندما يجد عندنا الاستعداد واتخاذ الخطوات الأولى اللازمة في الوصول إلي هذه العلاقة الروحية مع الله .

(1) نتحد فيه (نرتبط به)

الاتحاد بالمسيح مثلما قال الكتاب عن سر الزيجة المقدس "لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا"

(تك2: 24) ، (مت19: 5) ، (مر10: 7) ، (اف5: 31) ...
هو اتحاد علي المستوى الروحي وذلك من خلال سر الافخارستيا كما قال السيد المسيح "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ" (يو6: 56) ...

الاتحاد بالمسيح بأن نكون هياكل لسكني الروح القدس "أَمَا تَعْلَمُونَ
أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ وَرُوحُ اللَّهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟" (1كو 3: 16) .

"أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمْ
الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ لَسْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ؟" (1كو 6: 19) ..

لذا وجب علينا أن نحافظ علي هذا الهيكل لنلا نسمع "إِنْ كَانَ
أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللَّهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللَّهُ لِأَنَّ هَيْكَلَ اللَّهِ مُقَدَّسٌ الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ"
(1كو 3: 17) ..

نتحد بالمسيح أن نكون أعضاء علي المستوى الروحي "أَلَسْتُمْ
تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَتَأْخُذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ
وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ؟ حَاشَا !" (1كو 6: 15) ..

أعضاء المسيح علي المستوى الروحي ومن خلال الاتحاد بالسيد
المسيح في سر الافخارستيا ...

(2) نبذل أنفسنا من أجله

البذل هو قمة الحب ... هو الذي يطلب لنا محبة الله .. فالسيد
المسيح قال بفمه الطاهر "لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ
أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو 15: 13) .

أول مرحلة من مراحل البذل هي أن نترك من أجل محبتنا لله. نترك ولو أشياء بسيطة في البداية، ليكن ترك بدايتنا الخطية، ترك المسليات، ترك الضروريات. كما أن الترك يأتي تدريجياً.

الخطوة التالية التي نتبع الترك هي التبعية للسيد المسيح كما قال القديس بطرس بلسان التلاميذ للسيد المسيح: "فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينئِذٍ: هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟" (مت 19: 27)، (مر 10: 28)، (مر 10: 28).

كما أن التبعية تليها البذل والاستعداد للتضحية حتى الموت كما فعل آباؤنا الشهداء والمعترفين ولباس الصليب.

ليتنا نتعلم البذل ولو مع الخطية فنموت عنها ونجاهد ضدها حتى الموت كما قال القديس بولس الرسول "لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيئَةِ" (عب 12: 4). فعندما ننفصل عن الخطية نكون قد متنا عن العالم لنحيا لله وحينئذٍ سوف تأتي محبة الله وكل الخطوات السابقة سوف تأتي بسهولة وبسر.

الفصل الثامن

شروط المحبة الحقيقية

على الرغم من أن الحب يجب أن يكون غير مشروط كما قال أحد الآباء: "أحب الله وافعل ما شئت". ولكن الكتاب المقدس يعلمنا: "تُوجَدُ طَرِيقٌ تَظْهَرُ لِلإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةً وَعَاقِبَتُهَا طَرُقُ الْمَوْتِ" (ام14: 12)، (ام16: 25)... ولكي نطمئن علي أنفسنا في طريق الحب لذا سوف نُحصي بعض الصفات التي وضعها الكتاب المقدس لعلاقة الحب بين الإنسان والله كلى الحب. لذلك يجب معرفة أن هذه الصفات أو الشروط لن نصل إليها مرة واحدة ولكن نصل إليها بالتدريج. كما يجب أن نعلم أيضاً أن هناك بعضاً من الشروط لن نستطيع الوصول إليها بالكمال المطلق لأن الله غير محدود ومحبهته أيضاً غير محدودة ولكن علينا أن نسير في الطريق وننمو فيه إلى أن نصل الأبدية وهناك سوف نستقى الحب المطلق حسب ما يفيض به علينا مصدر الحب. لذلك من شروط أو صفات محبتنا لله كما قال الكتاب المقدس هي على النحو التالي:

❖ محبة من كل القلب.

القلب هو مركز المشاعر والأحاسيس والوجدان والله هو فاحص القلوب والكلى "أَنَا الرَّبُّ فَاحِصُ الْقَلْبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى" (ار 17: 10). وكما قال الله نفسه لصموئيل النبي في قصة اختيار داود ومسحه ملكاً: "لَأَنَّهُ لَيْسَ كَمَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ. لَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ" (1صم 16: 7). لذا فهو يطلب الحب من كل القلب وذلك خلال كل الكتاب المقدس ففي سفر التثنية نسمعه يقول: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ" (تث 6: 5). كما يقول: "فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ مَاذَا يَطْلُبُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ إِلَّا أَنْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلَهَكَ لِتَسْلُكَ فِي كُلِّ طَرُقِهِ وَتُحِبَّهُ وَتَعْبُدَ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ" (تث 10: 12). كما يقول أيضاً: "ثُمَّ إِنْ طَلَبْتَ مِنْ هُنَاكَ الرَّبَّ إِلَهَكَ تَجِدْهُ إِذَا التَّمَسَّئْتُهُ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ" (تث 4: 29). أيضاً يقول الرب في سفر التثنية: "هَذَا الْيَوْمَ قَدْ أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ أَنْ تَعْمَلَ بِهِذِهِ الْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ. فَاحْفَظْ وَاعْمَلْ بِهَا مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ" (تث 26: 16). كما يتابع سفر التثنية قائلاً: "وَيَخْتِئُ الرَّبُّ إِلَهَكَ قَلْبَكَ وَقَلْبَ سَلَاكِ لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ لِتَحْيَا" (تث 30: 6) .

كما نجد داود النبي في مزاميره وصلواته يركز علي كل القلب في

العبادة والصلاة فنجده يقول: "أَحْمَدُ الرَّبَّ بِكُلِّ قَلْبِي" (مز 111: 1).
 كذلك يقول: "بِكُلِّ قَلْبِي طَلَبْتُكَ. لَا تُضِلَّنِي عَنْ وَصَايَاكَ" (مز 119: 10).
 كما يقول: "فَهَمَّنِي فَأَلَحِظَ شَرِيعَتَكَ وَأَحْفَظُهَا بِكُلِّ قَلْبِي" (مز 119: 34). وكذلك يترنم: "تَرْضَيْتُ وَجْهَكَ بِكُلِّ قَلْبِي. اِرْحَمْنِي حَسَبَ قَوْلِكَ" (مز 119: 58). كما يقول أيضاً: "أَمَّا أَنَا فَبِكُلِّ قَلْبِي أَحْفَظُ وَصَايَاكَ" (مز 119: 69). ويقول كذلك: "لِيَكُنْ قَلْبِي كَامِلاً فِي فَرَائِضِكَ لِكَيْ لَا أَخْزَى" (مز 119: 80). كما يطلب قائلاً: "صَرَخْتُ مِنْ كُلِّ قَلْبِي. اسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ. فَرَائِضُكَ أَحْفَظُ" (مز 119: 145).
 كما يشكر: "أَحْمَدُكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِي. قُدَّامَ الْآلِهَةِ أَرْنُمُ لَكَ" (مز 138: 1).

كما نجد سفر الأمثال أيضاً يركز علي القلب قائلاً: "يَا ابْنِي لَا تَتَسَّ شَرِيعَتِي بَلْ لِيَحْفَظْ قَلْبُكَ وَصَايَايَ" (ام 3: 1). ويقول: "لَا تَدْعِ الرَّحْمَةَ وَالْحَقَّ يَتْرُكَانِكَ. تَقْلَدُهُمَا عَلَى عُنُقِكَ. أَكْتُبُهُمَا عَلَى لَوْحِ قَلْبِكَ" (ام 3: 3).
 ويطلب من جميعنا: "تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَعَلَى فَهْمِكَ لَا تَعْتَمِدْ" (ام 3: 5)، "وَكَانَ يُرِينِي وَيَقُولُ لِي: «لِيَضْبُطْ قَلْبُكَ كَلَامِي. أَحْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحْيَا" (ام 4: 4). كذلك يقول: "لَا تَبْرَحْ عَنْ عَيْنَيْكَ. إِحْفَظْهَا فِي وَسْطِ قَلْبِكَ" (ام 4: 21)، "فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ أَحْفَظْ قَلْبَكَ لِأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجُ الْحَيَاةِ" (ام 4: 23). ويقول: "ارْبُطْهَا عَلَى قَلْبِكَ دَائِماً. فَلَدَّ بِهَا عُنُقُكَ" (ام 6: 21). وكذلك يقول: "وَوَجَّهْ قَلْبَكَ إِلَى مَعْرِفَتِي" (ام 22: 17).
 كما يأمرنا قائلاً: "وَجَّهْ قَلْبَكَ إِلَى الْأَنْبِ وَأَدْنِيكَ إِلَى كَلِمَاتِ الْمَعْرِفَةِ" (ام 23: 12). ويقول: "يَا ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ وَلْتَأْلَاحِظْ عَيْنُكَ

طُرْقِي" (ام23: 26). وفي سفر النشيد سفر الحب بين الله والنفس البشرية الذي يعتبره الآباء قدس أقدس الكتاب المقدس يعطي مكاناً عظيماً للقلب في علاقة الحب فالحبيب يخاطب حبيبته: "قَدْ سَبَّيْتُ قَلْبِي يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ. قَدْ سَبَّيْتُ قَلْبِي" (نش4: 9). والعروس تخبر عريسها: "أَنَا نَائِمَةٌ وَقَلْبِي مُسْتَقِظٌ. صَوْتُ حَبِيبِي قَارِعاً" (نش5: 2). كما تقول أيضاً: "اجْعَلْنِي كَخَاتِمٍ عَلَى قَلْبِكَ كَخَاتِمٍ عَلَى سَاعِدِكَ. لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ قُوَّةٌ كَالْمَوْتِ" (نش8: 6).

والسيد المسيح له كل المجد استشهد بما جاء في سفر التثنية عندما سئل عن أول الوصايا فأجاب قائلاً: "وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى" (مر12: 30)، (مت22: 37). حتي أن السائل أجاب بعد ذلك قائلاً: "وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَفْسِ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحَرِّقَاتِ وَالذَّبَائِحِ" (مر12: 33).

كما أن السيد المسيح جعل من القلب مركزاً أو مصدراً للأعمال الصالحة والأعمال الشريرة: "الْإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكُنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ وَالْإِنْسَانُ الشَّرِيرُ مِنَ الْكُنْزِ الشَّرِيرِ يُخْرِجُ الشَّرُورَ" (مت12: 35). ويقول الرب: "وَأَمَّا مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ فَمِنْ الْقَلْبِ يَصْدُرُ وَذَلِكَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ" (مت15: 18). كذلك يقول

السيد المسيح: "لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف" (مت 15: 19). كما يقول السيد المسيح: من فضلة القلب يتكلم اللسان "يا أولاد الأفاعي! كيف تفقدون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟ فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم" (مت 12: 34)، (لو 6: 45).

على نفس المنوال قال الحكيم يشوع بن سيراخ: "حراثة الشجر تظهر من ثمرها كذلك تفكر قلب الانسان يظهر من كلامه" (سيراخ 27: 7). كذلك سفر الأعمال أيضاً يوضح مركز القلب في الإيمان، فنجد فيلبس الرسول يقول لوزير كنداكة ملكة الحبشة: "إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز" (اع 8: 37) .

كما أن القديس برنابا الرسول أوصى المؤمنين أن "يتبنوا في الرب بعزم القلب" (اع 11: 23). كما يذكر أيضاً: "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً" (اع 4: 32).

كذلك الرسول بولس أيضاً استفاض في أهمية القلب في الإيمان والطاعة والعبادة والحب فنجده يقول "بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه ليس من الناس بل من الله" (رو 2: 29). كذلك يقول: "فشكراً لله أنكم كنتم

عَبِيداً لِلْخَطِيئَةِ وَلَكِنِّكُمْ أَطَعْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ صُورَةَ التَّعْلِيمِ الَّتِي تَسَلَّمْتُمُوهَا" (رو 6: 17). أيضاً يقول: "ظَاهِرِينَ أَنْكُمْ رِسَالَةُ الْمَسِيحِ، مَخْدُومَةً مِنَّا، مَكْتُوبَةً لَا بِجَبْرِ بَلْ بِرُوحِ اللَّهِ الْحَيِّ، لَا فِي أَلْوَاكِ حَجَرِيَّةٍ بَلْ فِي أَلْوَاكِ قَلْبٍ لَحْمِيَّةٍ" (2كو 3: 3). ويقول أيضاً: "كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوْ اضْطِرَارٍ. لِأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللَّهُ" (2كو 9: 7). ويقول: "لَا بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَا يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِيئَةَ اللَّهِ مِنَ الْقَلْبِ" (اف 6: 6). كما يقول أيضاً: "وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ فَأَعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ" (كو 3: 23). كما يقول: "وَأَمَّا غَايَةُ الْوَصِيَّةِ فَهِيَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ، وَضَمِيرٍ صَالِحٍ، وَإِيمَانٍ بِلَا رِيَاءٍ" (1تي 1: 5). ويقول: "لِنَتَقَدَّمَ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الْإِيمَانِ، مَرَشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شَرِيرٍ، وَمُعْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ" (عب 10: 22).

يقول سفر التثنية أن التوبة والرجوع إلى الله يشترطها الكتاب في أنها يجب أن تكون من كل القلب، فيقول: "إِذَا رَجَعْتَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ" (تث 30: 10). كما يقول: "وَرَجَعْتَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكَ وَسَمِعْتَ لِمَا نَادَاكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ" (تث 30: 2). ويقول: "وَأَعْطَيْهِمْ قَلْباً لِيَعْرِفُونِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ فَيَكُونُوا لِي شَعْباً وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً لِأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيَّ بِكُلِّ قَلْبِهِمْ" (ار 24).

(7:). ويقول أيضاً: "وَتَطْلُبُونِي فَتَجِدُونِي إِذْ تَطْلُبُونِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ" (ار 29: 13).

يوضح السيد المسيح أهمية القلب العلاقة الروحية بين الإنسان فيقول "يَا أَوْلَادَ الْأَقَاعِي! كَيْفَ تَقْدُرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ" (مت 12: 34). ويقول أيضاً: "يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَغِدٌ عَنِّي بَعِيداً" (مت 15: 8).

كما يوضح السيد المسيح أن فعل الخطية يبدأ من القلب "وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ رَأَى فِيهَا فِي قَلْبِهِ" (مت 5: 28). كذلك يقول بفمه المبارك: "لَأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً" (مت 6: 21)، (لو 12: 34).

لكن كيف يستطيع الإنسان أن يحب الرب من كل القلب ... وأين هي محبة القريب؟! ألا يجب أن نحبه من القلب؟! وأين المشغوليات؟! هل في مقدور الإنسان المحدود الضعيف أن يصل إلي حب الله من القلب؟! يمكننا أن نقول:

أولاً: أن الوصية لا يمكن أن يعطيها لنا الله إلا إذا كانت في استطاعتنا.

ثانياً: لا يمكننا أن نصل إلي محبة الرب من كل القلب مرة واحدة بل بالتدريج.

أما عن محبة القريب فيجب أن تكون من خلال محبة الله ولا تريد عليها كما قال السيد المسيح: "مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي" (مت 10: 37). أول شيء يمكن أن نعمله في محبتنا لله من كل القلب أن ننصل عن أية محبة معادية لمحبة الله، كما يعلمنا الحكيم يشوع ابن سيراخ: "اقلع عن ذنوبك و قوم اعمالك و نق قلبك من كل خطيئة" (سيراخ 38: 10). بمعنى أوضح أن نبتعد عن أي خطية تتعارض مع محبة الله مثل محبة المال أو الشهوة أو محبة العالم ففي ذلك يعلمنا السيد المسيح: "لَا يَقْضِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ" (مت 6: 24).

إن لم نستطع أن نحب الرب من كل القلب فليس أقل من أن نحبه بقلب نقي: "طُوبَى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" (مت 5: 8). ويقول المزمور: "إِنَّمَا صَالِحُ اللَّهِ لِإِسْرَائِيلَ لِأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ" (مز 73: 1). كذلك نحبه بقلب سليم: "احبوا العدل يا قضاة الارض و اعتقدوا في الرب خيرا و التمسوه بقلب سليم" (الحكمة 1: 1). نحبه بقلب مستقيم: "نُورٌ قَدْ زُرِعَ لِلصِّدِّيقِ وَفَرَحٌ لِلْمُسْتَقِيمِ الْقَلْبِ" (مز 97: 11).

كما نحبه بقلب ثابت: "تروا في اوامر الرب و في وصاياه تأمل كل حين فهو يثبت قلبك و ينيلك ما تتمناه من الحكمة"(سيراخ 6: 37). وكذلك نحبه بقلب جيد "وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ الْجَيِّدِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ فَيَحْفَظُونَهَا فِي قَلْبٍ جَيِّدٍ صَالِحٍ وَيُثْمِرُونَ بِالصَّبْرِ" (لو 8: 15).

كما نحبه بقلب جديد: "وَأَعْطَيْكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأَعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ" (حز 36: 26). ونحبه بقلب واحد: "وَأَعْطِيهِمْ قَلْبًا وَاحِدًا وَطَرِيقًا وَاحِدًا لِيَخَافُونِي كُلَّ الْأَيَّامِ لِيُخَيِّرَهُمْ وَخَيْرِ أَوْلَادِهِمْ بَعْدَهُمْ" (ار 32: 39) .

إن لم نستطع ذلك فليس أقل من أن لانشرك أحداً آخر مكانه أو معه في الحب: "لا تعاص مخافة الرب و لا تتقدم اليه بقلب و قلب" (سيراخ 1: 36). كما يقول الكتاب: "القلب الساعي في طريقين لا ينجح و الفاسد القلب يعثر فيهما"(سيراخ 3: 28). كذلك يقول: "لا تتقلب مع كل ريح و لا تسر في كل طريق فانه كذلك يفعل الخاطئ ذو اللسانين" (سيراخ 5: 11).

على الأقل مبدأ المحبة من كل القلب موجود ونشتهيه ونسعي في الحصول عليه فلا تكون ضعفائنا وخطايانا عائقاً في طريق هذه المحبة بل مؤشراً لضعف المحبة لله ومحبة الله لنا. لنختبر حنو الله علينا وشفقته بنا وستره لنا، ولنعرف كم هو مستحق أن نحبه من كل

القلب كما يقول السيد المسيح في حادثة المرأة الخاطئة في بيت سمعان: " مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لِأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلًا" (لو 7: 47). فمعظم الذين وصلوا لمحبة الله من كل القلب هم أولئك الذين شعروا بمحبة الله الذي غفر لهم خطاياهم الكثيرة أمثال القديس أغسطينوس والقديس موسى الأسود والقديسة بائيسة والقديسة تاييس والقديسة بيلاجية.

ثانياً: يجب علينا أن نبدأ وننمو في محبة الله من كل القلب وذلك من خلال الصلاة الدائمة ونقاوة القلب وتنفيذ الوصية. أما بالنسبة للمشغوليات والمسئوليات فقد رأينا داود النبي وكيف أنه بجوار مسؤولية الملك وقيادة الجيش يركز على كل القلب في عبادته وصلواته. فالمشغولية يمكن أن تكون مشجعاً وليس معطلاً عن محبتنا لله وذلك بأن نضعها في يد الله ونصلي من أجلها. ونعملها من خلال محبة الله ومحبة القريب والمخدومين ومن هم تحت مسئوليتنا.

هل نبتعد عن الخدمة والعطاء لأجل محبة الرب من كل القلب؟! كلا بالطبع ولكن علينا أن نخدم ونعطي بمحبة لله ولل قريب وذلك كما يقول سفر الخروج عن واجب الخدمة لهرون رئيس الكهنة ووجوب بأن يحمل الرعية بحب في قلبه: "فَيَحْمِلُ هَارُونُ أَسْمَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

فِي صُدْرَةِ الْقَضَاءِ عَلَى قَلْبِهِ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْفُدُسِ لِلتَّذْكَارِ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِمًا" (خر 28: 29).

كذلك يقول: "وَتَجْعَلُ فِي صُدْرَةِ الْقَضَاءِ الْأُورِيمَ وَالتَّمِيمَ لِيَكُونَ عَلَى قَلْبِ هَارُونَ عِنْدَ دُخُولِهِ أَمَامَ الرَّبِّ. فَيَحْمِلُ هَارُونُ قَضَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى قَلْبِهِ أَمَامَ الرَّبِّ دَائِمًا" (خر 28: 30). كذلك يقول في العطاء بأنه يجب أن يكون من القلب: "كَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا لِي تَقْدِمَةً. مِنْ كُلِّ مَنْ يَحِبُّهُ قَلْبُهُ تَأْخُذُونَ تَقْدِمَتِي" (خر 25: 2). ويقول أيضاً: "ثُمَّ جَاءَ كُلُّ مَنْ أَنْهَضَهُ قَلْبُهُ وَكُلُّ مَنْ سَمَحَتْهُ رُوحُهُ بِتَقْدِمَةِ الرَّبِّ لِعَمَلِ خِيَمَةِ الْاجْتِمَاعِ وَلِكُلِّ خِدْمَتِهَا وَلِلثِّيَابِ الْمُقَدَّسَةِ" (خر 35: 21).

هناك أناس وصلوا إلى محبة الله من كل قلبهم أولهم آبائنا الشهداء والمعترفين الذين رضوا بسفك دمهم من أجل اسم المسيح ... ثانياً آبائنا النساك والرهبان ولباس الصليب كما نقول عنهم في قسمة الصوم إنهم سكنوا في المغائر والجبال وشقوق الأرض من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح .

❖ محبة من كل الفكر.

الفكر ليس بعيد عن القلب .. فالقلب يشعر ويحس والفكر يترجم هذا الشعور في هيئة فكر، فالأفكار سواء الصالحة أو الشريرة فهي نابعة من القلب والأدلة على ذلك من الكتاب المقدس كثيرة منها كلام السيد

المسيح: "لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ" (مت 9: 4). ويقول الإنجيل: "فَشَعَرَ يَسُوعُ بِأَفْكَارِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: مَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِكُمْ" (لو 5: 22). كذلك يقول: "فَعَلِمَ يَسُوعُ فِكْرَ قُلُوبِهِمْ وَأَخَذَ وَلَدًا وَأَقَامَهُ عِنْدَهُ" (لو 9: 47).

كما نجد القديس بطرس الرسول يخبر سيمون الساحر قائلاً: "فَتَنَّبَ مِنْ شَرِّكَ هَذَا وَاطْلُبْ إِلَى اللَّهِ عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ" (اع 8: 22).

والكتاب المقدس يبين كيف أن السيد المسيح الله الكلمة المتجسد عرف فكر الإنسان في أكثر من موقف منها قول الكتاب: "فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ فَقَالَ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟" (مت 9: 4)، (لو 5: 22). ويقول أيضاً: "فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ أَنْكُمْ لَمْ تَأْخُذُوا خُبْزًا؟" (مت 16: 8)، (مر 8: 17). كذلك يقول الإنجيل: "فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهِذَا فِي قُلُوبِكُمْ" (مر 2: 8).

فالله الذي هو وحده يعرف الأفكار قبل أن تكون يطالبنا بأن نحبه من كل الفكر. فالله لا يهيمه كثيراً المظاهر أو الشكل الخارجي ولكن ما يهيمه هو داخلنا أو ما نفكر فيه. لذا نسمع الكتاب المقدس يقول "كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوْ اضْطِرَارٍ. لِأَنَّ الْمُعْطِيَ

الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللَّهُ" (2كو 9: 7). لذا نرى السيد المسيح يؤكد علي وصية حب الرب الإله من كل الفكر "وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى" (مر 12: 30)، (لو 10: 27).

كما أن القديس بولس الرسول يوصينا قائلاً "كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ" (1كو 1: 10). ويقول أيضاً: "وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَّا فِكْرُ الْمَسِيحِ" (1كو 2: 16)، "وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلِّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ" (2كو 10: 5). كذلك يقول: "فَتَمَّمُوا فَرْحِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا فِكْراً وَاحِداً وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئاً وَاحِداً" (في 2: 2)، "فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً" (في 2: 5).

لكن كيف نصل إلي محبة الله من كل الفكر؟! وهل نستطيع ألا نفكر سوى في الله؟! نعم، يوجد أناس قد وصلوا إلي محبة الله من كل فكرهم، ولم يستطيعوا أن يفكروا سوى في الله. مثال لذلك القديس يوحنا القصير الذي مرة جاءه جمال ليحمل أوعيته. فلما دخل ليحضر له الصفائر نسيها لأنه كان مشغولاً بالتأمل في المناظر الإلهية - ففرع الجمال الباب فخرج إليه ونسي مرة أخرى - ففرع مرة ثالثة، فخرج إليه ثم دخل وهو يقول: "الصفائر للجمال، الصفائر للجمال". وقد حدث مثل هذا مع نفس القديس بخصوص القفف. ولكننا لسنا جميعاً مطالبون بهذا المستوى من قداسة الفكر ولكننا

مطالبون بوصية الكتاب المقدس إن أردنا محبة الله من كل الفكر وذلك بالصلاة كل حين كما أوصانا السيد المسيح "وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلًا فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلُّ حِينٍ وَلَا يَمَلْ" (لو 18: 1). ويقول الإنجيل: "اسْهَرُوا إِذَا وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حِينٍ لِكَيْ تُحْسَبُوا أَهْلًا لِلنَّجَاةِ مِنْ جَمِيعِ هَذَا الْمُرْمَعِ أَنْ يَكُونَ وَتَقِفُوا قُدَّامَ ابْنِ الْإِنْسَانِ" (لو 21: 36).

فإن أردنا تقديس الفكر لمحبة الرب الإله فعلينا بالصلاة فهي وحدها تستطيع تقديس فكرنا في محبة الله، وإن لم نستطع الصلاة كل حين فليس أقل من أن نقوم بما علينا من قانون روعي نأخذه من آباء اعترافنا.

القراءة أيضاً تساعد على تقديس الفكر وتخصيصه لله وخاصة قراءة الكتاب المقدس والتأمل في محبة الله وقراءة سير القديسين وكيفية محبتهم لله، فكما قال بعض الآباء: "قراءة الكتب تُقَوِّمُ الْعَقْلَ الطَّوَّافَ". كذلك "تعب الجسد بكثرة القراءة، ينقى العقل". كما يقول أحد الآباء: "إذا رجعت إلي خزانتك اهتم بقراءة الكتب الإلهية والصلاة ولا تتفرغ لشغل اليد وحده فتنس ذكر الله خالقك". وكذلك يذكر: "إذا جلست في خزانتك فاقراً بتعقل وتفهم، وفكر في تمجيد الله". أيضاً: "أن التأمل في الكتب حرز عظيم يحفظ الإنسان من الخطية ويستميله إلي عمل البر".

كما يقول أحد الآباء: "الإنسان (الراهب) الذي يكون في خزانته غير ذاكر الله تعالى ولا قارئ في الكتب يكون كالبيت الخرب خارج المدينة الذي لا تفارقه الجيف النتنة".

كذلك بجانب الصلاة والقراءة علينا بالتأمل في صفة محبة الله خاصة وصفات الله عامة. فهذا التأمل من خواصه أن يضيئ فكرنا ويبعد عنا الأفكار الشريرة ويساعدنا على تقديس الفكر ومحبة الله من كل الفكر. المهم أن نشغل فكرنا في أشياء مفيدة فكما علمنا الآباء: "العقل الفارغ معمل للشيطان". عمل اليد أيضاً يساعدنا على عدم إنشغال الفكر بأمور بعيدة عن محبة الله. كذلك حضور القداسات واجتماعات الكنيسة تساعدنا على تقديس الفكر.

❖ من كل النفس

يُقصد بالنفس الروح الإنسانية وهي أعم وأشمل من القلب والفكر فهي تخص كل ما بداخل الإنسان وهي الجانب الذي يخص الروحيات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمحبة الله. وهذا هو الفرق بين النفس (الروح) الإنسانية وكون الحيوانات أنفس حية فالنفس الإنسانية مصدرها نفخة من الله عكس الحيوانات التي قِيلَ عنها "وَقَالَ اللَّهُ: لَتُخْرِجَ الْأَرْضُ نَوَاتٍ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجَنَسِهَا: بَهَائِمَ وَدَبَابَاتٍ وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا. وَكَانَ كَذَلِكَ" (تك 1: 24). كذلك الجسد بدون تلك

الروح الإنسانية لا يزيد شيئاً عن الحيوان ولو أن الحيوان قد وضع فيه غريزة الحب نراها في الأمومة أو العائلة ولكن الفرق بيننا وبين الحيوان هو أن الحيوان لا يستطيع أن يحس بحب الله عكس الإنسان الذي نفخ فيه الله تلك الروح الإنسانية لذا فهو دائماً يميل ويشتاق بروحه الإنسانية إلى الله مصدر هذه الروح الإنسانية. لذا فمن حق الله أن نحبه من كل النفس ومن كل الروح الإنسانية.

كثيراً ما يطلق الكتاب المقدس على الإنسان ككل نفس وجسد لفظ "نفس" حتى في لغتنا الدارجة كثيراً ما نقصد بـ "النفس" الإنسان ككيان واحد. وربما يقصد السيد المسيح بالنفس الإنسان ككل نفس وجسد. فالإنسان كيان واحد متكامل جسداً وروحاً يكمل كل منهما الآخر. فعندما نتكلم عن الروح الإنسانية لا يمكننا أن نفصلها عن الجسد. فالجسد أيضاً قد خلقه الله وقد قيل عن خلق الله للإنسان جسداً وروحاً: "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِداً" (تك 1: 31). فالمقاومة بين الجسد والروح التي تكلم عنها بولس الرسول دخيلة على كيان الإنسان الواحد نتيجة للسقوط والخطية ولكن السيد المسيح باتخاذ جسدًا لم يُعطينا فقط إمكانية الرجوع إلى طبيعتنا التي خلقنا بها الله بل وإمكانية أن نكون هيكل الله وأعضاء المسيح.

فالمطلوب منا أن نحب الله بكل كياننا روحاً وجسداً . أولاً بأن لا أجعل أعضاء المسيح أعضاء زانية كما قال الرسول بولس .. كذلك

بأن نقدم أعضاءنا آلات بر الله. كذلك يقول السيد المسيح: "فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الْإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا" (مر8: 35). كما يقصد بالنفس الإنسان ككيان واحد روحاً وجسداً ولا يقصد بالهلاك هنا المعنى الحرفي لأنه يتتافى مع الخلاص ولكن يقصد بالهلاك هنا الخلاص من الإنسان العتيق وأعماله الرديئة.

❖ من كل القدرة.

هذا الشرط أو الطلب في محبة الله له وجهان:

الوجه الأول: هو شرط محبة الله بأقصى ما في مقدرتنا والله مستحق لهذا الحب بفضل حبه لنا .. يكفي أن نتذكر محبة السيد المسيح وعمله الخلاصي وما تخلله من آلام وصلب ...

الوجه الثانى: هو أن نحب الله حسب طاقتنا لا أكثر. فالله يطالبنا بما في مقدرتنا، المهم أن نعرف ونميز بين ما هو في مقدرتنا وما هو فوق طاقتنا.

إن محبة الله بكل القدرة يتخلل الصلاة والصوم والقراءة وكافة الوسائط الروحية التى ينبغى أن نعملها بحب. فأى عمل روحي بدون حب سوف لا نكسب منه سوى التعب الجسدي والنفسى. لكن الحب يولد

فينا تعزية في كل أمورنا الروحية. كما أوضح السيد المسيح في مواقف أخرى بعض الشروط والصفات والأخرى ومنها

❖ حفظ الوصايا.

لكي لا تفهم المحبة علي طريق الخطأ أنها دعوة للتسيب والإنحلال، لذا ركز السيد المسيح في الأوصاح الرابع عشر من إنجيل القديس يوحنا الحبيب علي حفظ الوصايا كشرط للمحبة. فالوصية هي التي تنظم المحبة وترشدها لذا نجد السيد المسيح يقول: "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ" (يو 14: 15). ويقول أيضاً: "الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ دَاتِي" (يو 14: 21). كما: "إِنْ أَحْبَبَنِي أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا" (يو 14: 23). كما يقول الرب: "الَّذِي لَا يُحِبُّنِي لَا يَحْفَظُ كَلَامِي. وَالْكَلَامُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو 14: 24). "أَنْتُمْ أَحِبَّائِي إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أَوْصَيْكُمْ بِهِ" (يو 15: 14).

وبسير القديس يوحنا الحبيب نفسه علي نفس النهج في رسائله المملوءة حباً فنجده يقول: "وَهَذِهِ هِيَ الْمَحَبَّةُ، أَنْ تَسْلُكَ بِحَسَبِ وَصَايَاهُ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ، كَمَا سَمِعْتُمْ مِنَ الْبَدْءِ أَنْ تَسْلُكُوا فِيهَا"

(2يو 1: 6). ويقول أيضاً: "وَأَمَّا مَنْ حَفِظَ كَلِمَتَهُ، فَحَقًّا فِي هَذَا قَدْ تَكَمَّلَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ" (1يو 2: 5).

ولكي يبين السيد المسيح علاقة الحب بحفظ الوصية نجده يقول لتلاميذه: "وَلَكِنْ لِيَفْهَمَ الْعَالَمُ أَنِّي أُحِبُّ الْآبَ وَكَمَا أَوْصَانِي الْآبُ هَكَذَا أَفْعَلُ. فُومُوا نَنْطَلِقُ مِنْ هَهْنَا" (يو 14: 31). بل أن القديس يوحنا الحبيب يربط بين محبة القريب ومحبة الله وحفظ الوصية في قوله "بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نُحِبُّ أَوْلَادَ اللَّهِ: إِذَا أَحْبَبْنَا اللَّهَ وَحَفِظْنَا وَصَايَاهُ" (1يو 5: 2).

كما أن العهد القديم نفسه يربط بين محبة الله وحفظ وصاياه بل ويجعل منهما معنً واحد ونجد أن الله يحب حافظي وصاياه ويظهر ذلك من الشواهد المقدسة التالية:

- "وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّي وَحَافِظِي وَصَايَايَ" (خر 20: 6) .
- "الْحَافِظُ الْعَهْدَ وَالْإِحْسَانَ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ وَيَحْفَظُونَ وَصَايَاهُ إِلَى أَلْفِ جِيلٍ" (تث 7: 9) .
- "فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ مَاذَا يَطْلُبُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ إِلَّا أَنْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلَهَكَ لِتَسْلُكَ فِي كُلِّ طُرُقِهِ وَتُحِبَّهُ وَتَعْبُدَ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ" (تث 10: 12) .

- " إِذْ حَفِظْتَ كُلَّ هَذِهِ الْوَصَايَا لِتَعْمَلَهَا كَمَا أَنَا أَوْصِيكَ الْيَوْمَ لِتُحِبَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ وَتَسْلُكَ فِي طَرَفِهِ كُلَّ الْأَيَّامِ قَرْدَ لِنَفْسِكَ أَيْضاً ثَلَاثَ مُدُنٍ عَلَى هَذِهِ الثَّلَاثِ " (تث 19: 9) .
- "وَقُلْتُ: أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهَ السَّمَاءِ الْإِلَهُ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ الْحَافِظُ الْعَهْدَ وَالرَّحْمَةَ لِمُحِبِّيهِ وَحَافِظِي وَصَايَاهُ" (نح 1: 5) ..

محبة الله وحفظ وصاياه كل منهما يؤدي للآخر فعندما أحفظ وصايا الله يؤدي ذلك إلي محبتي لله ومحبة الله لي ... وعندما أحب الله يؤدي بي ذلك إلي محبة وصاياه وحفظها وحب كل ما يتعلق بالله. إن حفظ وصايا الله هي ترجمة عملية لمحبتنا لله.

❖ الثبات في المحبة

الثبات في المحبة شرط أساسي في محبتنا لله فكثيرون من الذين بدأوا بالمحبة لم يستطيعوا أن يكملوا ومن أمثلة هؤلاء ديماس الذي قال عنه بولس الرسول "لَأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ" (2تي 4: 10). وفي سفر الرؤيا يقول الروح لملاك إحدى الكنائس السبع: "لَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الْأُولَى" (رؤ 2: 4).

من أمثلة عدم الثبات في المحبة أيضاً شاول الذي كُتِبَ عنه "فَجَاءَ دَاوُدُ إِلَى شَاوُلَ وَوَقَفَ أَمَامَهُ، فَأَحَبَّهُ جِدًّا وَكَانَ لَهُ حَامِلَ سِلَاحٍ" (1صم 16: 21). ولكنه لم يثبت في هذه المحبة وأراد بعد ذلك قتل

داود كما لم يثبت شاول ذلك في محبة الله الذي اختاره ملكاً علي شعبه وقد رفضه الله بعد ذلك.

وقد أوصانا السيد المسيح بالثبات في محبته في قوله المبارك "كَمَا أَحَبَّنِي الْآبُ كَذَلِكَ أَحْبِبُّنَا أَنَا. اثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي" (يو 15: 9). وفي قول آخر يربط بين حفظ الوصية والثبات في محبته قائلاً: "إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُونَ فِي مَحَبَّتِي كَمَا أَنِّي أَنَا قَدْ حَفِظْتُ وَصَايَا أَبِي وَأَثْبُتُ فِي مَحَبَّتِهِ" (يو 15: 10).

❖ الإيمان ومحبة الابن

لا توجد محبة لله بعيداً عن محبة المسيح والإيمان كونه ابن الله الوحيد الذي أحبنا وبذل نفسه لأجلنا. فالسيد المسيح يعلل محبة الآب لنا بمحبتنا له وإيماننا فيه بقوله "لَأَنَّ الْآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ لِأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي وَأَمَنْتُمْ أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجْتُ" (يو 16: 27).

نفس الكلام يقوله القديس يوحنا الحبيب في رسائله "كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ. وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ أَيْضاً" (1يو 5: 1). بل ويلخص نفس القديس هذا الشرط ويجزمه في قوله "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُحِبُّ الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ فَلَيْكُنْ أَنَاثِيمًا. مَارَانُ أَنَّا" (1كو 16: 22).

كيف لي أن أحب الله وأنا لا أؤمن ولا أصدق محبته التي أظهرها لنا في ابنه الوحيد. إن الإيمان بالابن وعمله الخلاصى وما ظهر من خلاله من حب لنا لهو دافع كبير لمحبتنا لله. لقد كان من أهم أهداف التجسد والفداء الذي قام به الابن الوحيد هو أن يُظهر لنا الله محبته "لأنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو 3: 16).

كما يقول القديس يوحنا الحبيب "بِهَذَا أُظْهِرْتُ مَحَبَّةَ اللَّهِ فِيْنَا: أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ" (1 يو 4: 9، 10). كذلك كان من أهداف التجسد والفداء أن يحثنا علي محبته "نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلًا" (1 يو 4: 19). فمن لا يؤمن بالابن كيف تصل إليه محبة الله. من لا يستطيع أن يؤمن بتجسد الله وصلبه وآلامه هو ذاك الذي لا يؤمن ولا يصدق بمحبة الله.

إن الإيمان بالله الكلمة المتجسد وعمله الخلاصي وما تخلله من صلب وآلام قد غير عندنا نحن المؤمنين مفهوم محبة الله لنا فقد عرفنا أنه "لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو 15: 13). بدون محبة المسيح ومحبته لا يجرؤ أحد على محبة الله.

❖ المحبة هي محبة للقريب والبعيد.

لقد قال القديس يوحنا الحبيب "إِنْ قَالَ أَحَدٌ: إِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لِأَنَّ مَنْ لَا يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَفْهَرُ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ الَّذِي لَمْ يُبْصَرْهُ" (1يو4: 20) . وقال أيضاً "وَلَنَا هَذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنْهُ: أَنْ مَنْ يُحِبُّ اللَّهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضاً" (1يو4: 21).

ويقول القديس يوحنا الحبيب أيضاً "أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضاً أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً" (1يو4: 11) . لقد أحبنا الله رغم عدم استحقاقنا لحبه، فكم بالأولى نلتزم نحن بحب إخوتنا مهما يكن طبعهم أو حالهم أو تصرفاتهم تجاهنا. كما يعتبر القديس يوحنا الحبيب محبتنا للقريب تكميل لمحبتنا لله "إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً فَإِنَّهُ يَثْبُتُ فِيْنَا، وَمَحَبَّتُهُ قَدْ تَكَمَّلَتْ فِيْنَا" (1يو4: 12) .

إن محبتنا للقريب والبعيد تعني نقاوة قلوبنا وبهذا تتجلي من قلوبنا أي غشاوة داخلية يمكنها أن تفصلنا عن معاينة محبة الله لنا. كذلك بمحبتنا لأخوتنا نكون قد نفذنا وصية الله مبرهنين علم محبتنا له.

الفصل التاسع

علامات المحبة العملية

هناك عدة علامات هي تعبير وترجمة عملية لوصية المحبة التي هي أساس البنیان في الحياة الروحية. من هذه العلامات، أو الخطوات العملية ما يلي.

أولاً: مظاهر محبة الإنسان لله

هناك عدة مظاهر لمحبة الإنسان لله، نتضح لنا على النحو التالي:

1. البذل والتضحية (حمل الصليب)

الحب الإلهي هو أعظم وسيلة تُسهل لنا صلب الذات، فحبنا للرب يسوع يتضح في مقدار تضحيتنا وفي مقدار ما نبذل أو نخسر من أجل يسوع: "بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نَفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ" (في 3: 8). فالمسيحية هي حياة حب للذي أحبنا حتي المنتهى.

إن السيد المسيح عندما سأل القديس بطرس الرسول بعد القيامة: «يَا سِمْعَانُ بَنَ يُونَا أَتُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ لَهُ: «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ». قَالَ لَهُ: ارْجِعْ خِزَافِي" (يو 21: 15). كما حدث ذلك ثلاث مرات لتأكيد شرط الخدمة لمن يحب المسيح. إن الإنسان المحب للمسيح يجب أن يتمثل بمن يحبه الذي قِيلَ عنه "كَمَا أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرٍ يَبْتَغِي أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مت 20: 28)، (مر 10: 45). كما قال هو عن نفسه "لَأَنَّ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ؟ الَّذِي يَتَكَبَّرُ أَمْ الَّذِي يَخْدُمُ؟ أَلَيْسَ الَّذِي يَتَكَبَّرُ؟ وَلَكِنِّي أَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدُمُ" (لو 22: 27) .

إن خدمة المسيح هي تبعية للمسيح .. تبعية لمن نحب وفي هذا قال السيد المسيح بفمه المبارك "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدُمُنِي فَلْيَتَّبِعْنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضاً يَكُونُ خَادِمِي. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدُمُنِي يُكْرِمُهُ الْآبُ" (يو 12: 26) .

لذلك يجب أن تكون محبة المسيح هي هدف كل خدمة. فالخدمة بدون حب لا تنتهي إلا بالتعب أو اليأس أو حب الذات أو التشاجر علي الرياسات أو حتي ترك الخدمة نهائياً.

كما يجب أن يكون الهدف الذي يحرك الكاهن أو الخادم للخدمة هو حبه للمصلوب وارتباطه بالذي مات من أجله فينظر لكل إنسان آتٍ إليه كشخص موصى عليه من رب المجد نفسه الذي صُلب عنه. بل وينظر للفقير والعريان كشخص المسيح ذاته العريان والمصلوب من أجلنا. وينظر للخطي كشخص المسيح حامل خطية كل الخطاة. فخدمة المسيح وأولاده ليست عن عبودية بل عن محبة ولأن المحبة أبدية لذا ستستمر معنا خدمة المسيح كمكافأة لنا في الأبدية، خدمة الحب، خدمة التسييح. هكذا نقرأ في سفر الرؤيا: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ وَيَخْدِمُونَهُ نَهَاراً وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَجِلُّ فَوْقَهُمْ" (رؤ 7: 15). ويقول أيضاً: "وَلَا تَكُونُ لَعْنَةً مَا فِي مَا بَعْدُ. وَعَرْشُ اللَّهِ وَالْحَمَلُ يَكُونُ فِيهَا، وَعَبِيدُهُ يَخْدِمُونَهُ" (رؤ 22: 3). فالإنسان الذي يحب يتمنى أن يكون عبداً لمن يحب لكي يخدمه ويكون دائماً بجواره هكذا هي خدمتنا للسيد المسيح هنا على الأرض وفي السماء أيضاً.

2. محبة العطاء

يقول الكتاب المقدس: "كُلُّ وَاحِدٍ كَمَا يَنْوِي بِقَلْبِهِ، لَيْسَ عَنْ حُزْنٍ أَوْ اضْطِرَارٍّ. لِأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللَّهُ" (2كو 9: 7) .

ثانياً: مظاهر محبة الإنسان لأخيه الإنسان

هناك عدة شروط لمحبتنا لبعضنا البعض، من هذه الأمور:

1. المحبة فلتكن بلا رياء.

يقول الكتاب المقدس علي لسان بولس الرسول "الْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلَا رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ" (رو 12: 9). كما يقول "فِي طَهَارَةٍ، فِي عِلْمٍ، فِي أَنَاةٍ، فِي لُطْفٍ، فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ، فِي مَحَبَّةٍ بِلَا رِيَاءٍ" (2كو 6: 6). ويقول أيضاً: "بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ الْمَسِيحُ" (اف 4: 15).

كما يقول أيضاً "طَهَّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الْأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ، فَأَحْبُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ" (ابط 1: 22). فالمحبة المسيحية يجب أن تكون صادقة لأن مصدرها الله الصادق الأمين. يجب أن تتبع المحبة من الداخل من الروح القدس الذي يعلمنا بنفسه المحبة الصادقة وكيف تكون. فالمحبة الصادقة الخالية من الرياء يجب أن يصاحبها العمل وترجمة هذه المحبة إلي أفعال كما يقول الرسول بولس: "يَا أَوْلَادِي، لَا نُحِبْ بِالْكَلَامِ وَلَا بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ!" (1يو 3: 18).

كما يقول القديس يوحنا الحبيب "وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجًا، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتَ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِيهِ؟" (1يو 3: 17). وفي ذلك يقول القديس بولس الرسول "لَأنَّ اللَّهَ لَيْسَ

بِظَالِمٍ حَتَّى يَنْسَى عَمَلَكُمْ وَتَعَبَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَظْهَرْتُمُوهَا نَحْوَ اسْمِهِ، إِذْ قَدْ خَدَمْتُمْ الْقُدِّيسِينَ وَتَخْدِمُونَهُمْ" (عب 6: 10) ... وكما يقول أيضاً "مُتَذَكِّرِينَ بِلا انْقِطَاعٍ عَمَلِ إِيْمَانِكُمْ، وَتَعَبِ مَحَبَّتِكُمْ، وَصَبْرِ رَجَائِكُمْ، رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَمَامَ اللَّهِ وَأَبِينَا" (1تس 1: 3) .

كما يقول القديس يوحنا: "من الشَّيْخُ، إِلَى كِبَرِيَّةِ الْمُخْتَارَةِ، وَإِلَى أَوْلَادِهَا الَّذِينَ أَنَا أُحِبُّهُمْ بِالْحَقِّ، وَلَسْتُ أَنَا فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً جَمِيعُ الَّذِينَ قَدْ عَزَفُوا الْحَقَّ" (2يو 1: 1). وأيضاً: "من الشَّيْخُ، إِلَى غَايَسِ الْحَبِيبِ الَّذِي أَنَا أُحِبُّهُ بِالْحَقِّ" (3يو 1: 1) .

فالمحبة يجب أن يكون لها تعب وترجمة عملية ليس بالكلام أو بالرياء بل بالعمل والحق. لذلك يجب أن تكون المحبة بدون رياء وبإخلاص كما يخاطب القديس بولس كنيسة كورنثوس "لَسْتُ أَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الْأَمْرِ، بَلْ بِاجْتِهَادٍ آخَرِينَ، مُخْتَبِراً إِخْلَاصَ مَحَبَّتِكُمْ أَيْضاً" (2كو 8: 8). كما يجب أن نبين بينة محبتنا لله ولبعضنا البعض كما يقول القديس بولس الرسول لكنيسة كورنثوس أيضاً "فَبَيِّنُوا لَهُمْ، وَقَدْ أَمَّ الْكَنَائِسِ، بَيِّنَةً مَحَبَّتِكُمْ، وَافْتِخَارَنَا مِنْ جِهَتِكُمْ" (1كو 13: 1) .

2. المحبة لا تتسبب في عثرة القريب.

الإنسان الذى يحب لايعثر غيره فى أى شىء، يقول عنا الروح القدس على لسان القديس بولس: "فَإِنْ كَانَ أَخُوكَ بِسَبَبِ طَعَامِكَ يُحْزَنُ

فَلَسْتُ تَسْأَلُكَ بَعْدُ حَسَبَ الْمَحَبَّةِ. لَا تُهْلِكُ بِطَعَامِكَ ذَلِكَ الَّذِي مَاتَ
الْمَسِيحُ لِأَجْلِهِ" (روا: ١٥: ١٣) .. "وَأَمَّا مِنْ جِهَةٍ مَا ذُبِحَ لِلْأَوْتَانِ
فَنَعْلَمُ أَنَّ لَجَمِيعِنَا عِلْماً. الْعِلْمُ يَنْفُخُ وَلَكِنَّ الْمَحَبَّةَ تَبْنِي" (١كو١٥)
: (١٥) .

كما أن من مظاهر الوحدة هو عدم التفرقة في المحبة بين شخص
وآخر بل أن نحب الجميع كوحدة واحدة كجسد واحد وكلنا أعضاء في
هذا الجسد الواحد الذي رأسه المسيح. "فَنَمِّمُوا فَرْجِي حَتَّى تَفْتَكِرُوا
فِكْرًا وَاحِدًا وَلَكُمْ مَحَبَّةٌ وَاحِدَةٌ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، مُفْتَكِرِينَ شَيْئًا وَاحِدًا" (في١٥)
: (١٥) .

ثالثاً: صفات المحبة بعضنا لبعض

من صفات الحبة كما وردت في (1كو 13) هي على النحو التالي:

١. المحبة تتأني وتترفق.

هذه بداية الصفات التي بدأ الرسول بولس يذكرها، أن الإنسان المحب
يجب أن يكون متأنياً، لا يغضب ولا يثور بسرعة مهما كانت
المثيرات الخارجية. فالتأني والترفق صفتان أحدهما صفة سلبية وهي
التأني والأخرى إيجابية وهي الترفق، فالتأني هي صفة يستخدمها
الإنسان مع نفسه فيتأني ولا يغضب بينما الترفق صفة يستخدمها

الإنسان مع المثيرات الخارجية فيرفق بها. فلئلا يعتقد البعض التآني أو طول البال لإغاظة المسبب أو المثير أوصى الرسول بصفة الرفق. في هذا يقول القديس يوحنا ذهبى الفم: "لاحظوا أن طول الأناة ليس بالضرورة يكون مترقفاً. فإن لم يكن مترقفاً يصير طول الأناة رذيلة، ويتعرض الشخص لخطر السقوط في المكر. لذلك يقدم الحب دواءً، أقصد الترفق فيحفظ الفضيلة نفيةً". كذلك طول الأناة هذه جعلها الرسول بولس من ثمار الروح القدس "وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرْحٌ سَلَامٌ، طَوْلُ أَنَاةٍ" (غل ٥: ٢٢).

والرسول بولس أيضاً يوصينا بها كثيراً في رسائله فنسمعه يقول "في طَهَارَةٍ، فِي عِلْمٍ، فِي أَنَاةٍ، فِي لُطْفٍ، فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ" (١كو ١٣: ٨). كما يقول: "بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطَوْلِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْمَحَبَّةِ" (اف ٤: ٢). كما يتابع قوله: "مُتَّقَوِينَ بِكُلِّ قُوَّةٍ بِحَسَبِ قُدْرَةِ مَجْدِهِ، لِكُلِّ صَبْرٍ وَطَوْلٍ أَنَاةٍ بِفَرْحٍ" (كو ٣: ١٢).

ويقول كذلك: "فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللَّهِ الْقُدِّيسِينَ الْمُحِبُّوبِينَ احْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطَوْلَ أَنَاةٍ" (كو ٣: ١٢). كما يقول: "لِكَيْ لَا تَكُونُوا مُتَبَاطِئِينَ بَلْ مُتَمَثِّلِينَ بِالَّذِينَ بِالْإِيمَانِ وَالْأَنَاةِ يَرْتُونَ الْمَوَاعِيدَ" (عب ١٠: ٣٣).

والقديس يعقوب الرسول يوصينا أيضاً "فَنَأْتُوا أَبُهَا الْإِخْوَةَ إِلَى مَجِيءِ
الرَّبِّ. هُوَذَا الْفَلَّاحُ يَنْتَظِرُ ثَمَرَ الْأَرْضِ الثَّمِينِ مُتَأَنِّياً عَلَيْهِ حَتَّى يَبَالَ
الْمَطَرِ الْمُبَكَّرِ وَالْمُتَأَخَّرِ" (يع ٥: ٧). كما يقول "إِذَا يَا إِخْوَتِي
الْأَحِبَّاءَ، لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعاً فِي الْإِسْتِمَاعِ، مُبْطِئاً فِي التَّكَلُّمِ،
مُبْطِئاً فِي الْغَضَبِ، لَأَنْ غَضَبَ الْإِنْسَانِ لَا يَصْنَعُ بَرَ اللَّهِ" (يع ١: ٢٠).

وقديماً يوصينا الحكيم يشوع بن سيراخ "كن سريعاً في الاستماع و
كثير الثاني في احارة الجواب" (سيراخ ١٠: ١٢). ويقول أيضاً: "مع
ذلك كن طويل الاناة على البائس ولا تماطله في
الصدقة" (سيراخ ١٠: ١٣). كما يوصينا من قبله الحكيم
سليمان: "لَا تُسْرِعْ بِرُوحِكَ إِلَى الْغَضَبِ لَأَنَّ الْغَضَبَ يَسْتَقِرُّ فِي
حِصْنِ الْجُهَالِ" (جا ١: ٢٠).

وطول الاناة لا نستخدمه فقط مع من يثيروا فينا الغضب فقط بل
نستخدمه في كل أمور حياتنا. في الخدمة مثلاً يقول القديس بولس:
اَكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ. اَعْكُفْ عَلَى ذَلِكَ فِي وَقْتِ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ مُنَاسِبٍ. وَبَخِ،
انْتَهِرْ، عِظْ بِكُلِّ انَاةٍ وَتَعْلِيمٍ" (2تي 4: 2)، وكما يقول القديس يعقوب
الرسول "خُذُوا يَا إِخْوَتِي مِثَالاً لِاحْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ وَالْأَنَاءَةِ: الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ
تَكَلَّمُوا بِاسْمِ الرَّبِّ" (يع 5: 10). فالتأني صفة من صفات المحبة نحن
مطالبون بها في علاقتنا مع الآخرين ومطالبون بها في خدمتنا لهم

كما أننا مطالبون بها في حياتنا الروحية والعملية وفي كل مجالات الحياة.الذي يحب شخصاً، يتأنى عليه ولا يغضب منه بسرعة. إن محبته تجعله يطيل أناته ويصبر. إن طول الأناة هي صفة من صفات المحبة فيجب أن تُمارس بمحبة نابعة من القلب .

والكنيسة المقدسة تحثنا علي السلوك دائماً بطول الأناة بأن وضعت لنا في مقدمة صلاة باكر بضع آيات من الرسالة إلي أفسس يقول فيها الرسول "فَأَطْلُبْ إِلَيْكُمْ، أَنَا الْأَسِيرُ فِي الرَّبِّ، أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا. بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبِطَوَّلِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْمَحَبَّةِ " (أف: ٤: ١-٣) .

أيضاً بالمحبة يطيل الإنسان أناته علي الضعفاء، وصغار النفس، حسب توجيه الرسول بقوله: " شَجَّعُوا صِغَارَ النَّفُوسِ، أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ. تَأَنَّنُوا عَلَى الْجَمِيعِ " (اتس: ١٦: ١-٢) .

كما أن طول الأناة صفة من صفات الله علي الدوام فنسمع عنه في سفر الحكمة "وانت يا الهنا ذو صلاح و صدق طويل الاناة" (الحكمة: ١١: ١٠) . كذلك في سفر يهوديت "ولكن بما ان الرب طويل الاناة فلنندم على هذا و نلتمس غفرانه بالدموع المسكوبة" (يهوديت: ١٠: ١٠) . كما أن الحكيم يشوع بن سيراخ يقول: "فلذلك

طالت عليهم اناة الرب و افاض عليهم رحمته (سيراخ ١٧: ٢٥)

كذلك نسمع موسي النبي يقول: "الرَّبُّ طَوِيلُ الرُّوحِ كَثِيرُ الإِحْسَانِ يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ لَكِنَّهُ لَا يُبْرِئُ. بَلْ يَجْعَلُ ذَنْبَ الْآبَاءِ عَلَى الْآبَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ" (عد ٣٢: ١٠). ويشرحه المرتل بتفصيل في مزمور (مز ١٠٣: ١٧) فيقول "الرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَأُوفٌ طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. لَا يُحَاكِمُ إِلَى الْأَبَدِ وَلَا يَحْقُدُ إِلَى الدَّهْرِ. لَمْ يَصْنَعْ مَعَنَا حَسَبَ خَطَايَانَا وَلَمْ يُجَازِنَا حَسَبَ آثَامِنَا. لِأَنَّهُ مِثْلُ ارْتِفَاعِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الْأَرْضِ قَوِيَتْ رَحْمَتُهُ عَلَى خَائِفِيهِ. كَبُعدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِينَا". كما يقول أيضاً: "كَمَا يَتَرَأَّفُ الْأَبُ عَلَى الْبَنِينَ يَتَرَأَّفُ الرَّبُّ عَلَى خَائِفِيهِ. لِأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبِلَّتَنَا. يَذْكُرُ أَنَّنا تُرَابٌ نَحْنُ" (مز ١٠٣: ١٧، ١٨، ١٩).

ويؤكد القديس بطرس الرسول طول أناة ربنا في رسالتيه "إِذْ عَصَتْ قَدِيمًا، حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللَّهِ تَنْتَظِرُ مَرَفَّةً أَيَّامِ نُوحٍ، إِذْ كَانَ الْفُلُّ يُبْنَى، الَّذِي فِيهِ خَلَصَ قَلِيلُونَ، أَيْ تَمَانِي أَنْفُسٍ بِالْمَاءِ" (١بط ٣: ٢٠). ويقول أيضاً: "وَاحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلَاصًا، كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضًا بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ" (١بط ٣: ٢٠).

والقديس بولس الرسول يوضح طول أناة ربنا معه فيقول "لَكُنِّي لِهَذَا رُحِمْتُ: لِيُظْهَرَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِيَّ أَنَا أَوَّلًا كُلَّ أَنَاةٍ، مِثْلًا لِلْعَتِيدِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ" (١: ٨). والقديس يوحنا ذهبي الفم يمتدح جداً صفة طول الأناة هذه قائلاً "وإذا قارنا طول الأناة بمدينة حصينة وجدناها أكثر حصانة منها. فهي سلاح ماضٍ وقلعة حصينة، يمكن بسهولة أن تقف ضد كل المضايقات. وكما أن الشرارة البسيطة إذا ما سقطت في جب لا تؤدي بل تنطفئ سريعاً. هكذا كل ما يسقط على النفس الطويلة الأناة سرعان ما يتلاشى، وأما النفس فلا تضطرب. لأنه بالحق ليس هناك أقوى من طول الأناة. قد تتكلم عن الجيوش والأموال والخيول والحصون والأسلحة أو أي شيء يمكن أن يوجد، هذا كله يمكن للغضب أن يهزمه. ذلك لكن ليس مثل التآني. لأن من ينشغل بهذه الأمور غالباً ما يغلبه الغضب، ويصير مكتئباً كطفلٍ تافه، ويمتلئ بالارتباك والهيّاج، أما المتآني فإنه كمن في ميناء، يتمتع بهدوء مملوء تعقلاً. فإن أحاطت به الخسارة، يكون كالصخرة لا يتحرك، وإن شتم يكون كالقلعة لا يهتز، وإن ضرب بالعصا فلن يُجرح لأنه أصلب من الماس".

يقول أيضاً القديس مقاريوس الكبير: "❖ إن طول الروح هو صبر، والصبر هو الغلبة، والغلبة هي الحياة، والحياة هي الملكوت، والملكوت هو الله".

فى ذلك سأل أخ شيخًا: إني أريد أن أستشهد من أجل الله. فأجابه: "من احتمال أخاه فى وقت الشدة، فذاك أصبح داخل أتون الثلاثة فتية". وفى نفس المعنى يقول القديس موسى الأسود "من احتمال ظلمًا من أجل الرب يعتبر شهيداً".

فى الاحتمال وطول الأناة حُكي عن الأثبا أنطونيوس فى بستان الرهبان أنه قد أتى إخوة إلى القديس أنطونيوس وقالوا له "يا أبانا قل لنا كيف نخلص؟". فقال لهم: "هل سمعتم ما يقوله الرب" من لطمك على خدك الأيمن حول له الأيسر؟".

فقالوا له: "ما نطيق ذلك". فقال لهم: "إن لم تطيقوا ذلك فاصبروا على اللطمة الأولى".

قالوا له: "ولا هذه نستطيع". فقال لهم: "إن لم تستطيعوا فلا تكافئوا من يظلمكم".

فقالوا له: "ولا هذا نستطيع". فما كان من القديس إلا أن دعا تلميذه وقال له: "اصلح لهم مائدة واصرفهم لأنهم مرضى. إن هذا لا يطيقون، وذاك لا يستطيعون، ووصايا الرب لا يريدون. فماذا أفعل لهم؟!".

أما عن الصفة الإيجابية المرتبطة بالتأني وهي الترفق فيشترطها أيضاً القديس بولس الرسول في عبد الرب "وَعَبْدُ الرَّبِّ لَا يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، بَلْ يَكُونُ مُتَرْفِقًا بِالْجَمِيعِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، صَبُورًا عَلَى الْمَشَقَّاتِ" (١ تي ٣: ١٢). .

كما يوضح القديس بولس كيف كانت هذه الصفة موجودة في خدمته قائلاً "بَلْ كُنَّا مُتَرْفِقِينَ فِي وَسْطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلَادَهَا" (١ تس ٢: ٧). .

ويؤكد القديس بولس أيضاً أن صفة الترفق يجب أن يمارسها الخادم وخاصة بالجهال والضالين "قَادِرًا أَنْ يَتَرْفَقَ بِالْجُهَالِ وَالضَّالِّينَ، إِذْ هُوَ أَيْضًا مُحَاطٌ بِالضَّعْفِ" (عب ٥: ١). .

كذلك يوضح القديس يعقوب أن هذه الصفة من صفات الحكمة النازلة من فوق "وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقَ فَهِيَ أَوَّلًا طَاهِرَةٌ، ثُمَّ مُسَالِمَةٌ، مُتَرْفِقَةٌ" (يع ٣: ١٧). إن أردنا أن نتعلم صفة الترفق هذه فلنتعلمها من السيد المسيح المكتوب عنه "وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا مُتَرْعِجِينَ وَمُنْطَرِحِينَ كَغَنَمٍ لَا رَاعِيَ لَهَا" (مت ٩: ٣٦)، (مر ١٤: ١٤). .

في قصة إقامة ابن الأرملة بنايين عندما رأى السيد المسيح أرملة نايين تبكي لموت وحيدها، قيل "فَلَمَّا رَأَاهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا:

لَا تَبْكِي. ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: أَيُّهَا الشَّابُّ لَكَ أَقُولُ قُمْ. فَجَلَسَ الْمَيِّتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ" (لو ٢٤: ٥٠-٥١). كذلك من تحنن الرب يسوع أنه بكى ببكاء مريم ومرثا وأقام لهما أخيها ليعازر .

من الأمثلة التي قالها السيد المسيح التي تحثنا علي الترفق والتحنن مثل السامري الصالح الذي رأى في الطريق إنساناً وقع بين أيدي اللصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت "فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمَرًا وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ وَآتَى بِهِ إِلَى قُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ" (لو ١٠: ٣٤-٣٥).

ما أعظم محبة الرب في ترفقه علي المرأة السامرية، وعدم إخجالها {يو ٤: ١٨}. وكذلك ترفقه علي المرأة الخاطئة التي ضبطت في ذات الفعل، وكيف أنقذها من الذين أدنوها وطلبوا الحكم برجمها. ثم قال لها في رفق "وَلَا أَنَا أَدِينُكَ. اذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا" (يو ٨: ١٢). وبنفس الرفق عامل المرأة الخاطئة التي سكبت الطيب علي قدميه في بيت سمعان الفريسي (مر ١٤: ٣: ١٠: ٢) وأظهر للفريسي إنها أفضل منه. كذلك ترفقه بالابن الضال حينما رجع، ولم يبكته علي ذهابه إلي كورة بعيدة (ونفس الموقف مع زكا العشار (لو ١٩: ١٠) وباقي العشارين والخطاة . كما نلاحظ أيضاً أن معجزات الشفاء التي قام بها الرب، لم تكن مجرد شفاء إنما امتزجت أيضاً

بالحنان والرفافة. ففي منح البصر للأعميين، يقول الكتاب "فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَلَمَسَ أَعْيُنَهُمَا فَلَوْلُوتِ أَبْصَرَتْ أَعْيُنُهُمَا فَنَبِعَا" (مت ٩: ١٣). وفي شفاء الأبرص وتطهيره، قيل "فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: أُرِيدُ فَاطْهَرْ" (مر ٨: ٢٣). ويقول الكتاب أيضاً "قَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ أَبْصَرَ جَمْعاً كَثِيراً فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ" (مت ٩: ١١). إذن الحنان هو الدافع، والشفاء هو النتيجة .

من أمثله المحبة التي تتراءف، المحبة الموجهة إلي التعابي، والحزاني، وصغيري النفوس. ولعل أبرز مثل لهذا الحب المترفق، هو قول السيد: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالنَّقِيلِي الْأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (مت ١١: ٢٨).

من جهة الحزاني، نراه في محبته وحنوه، "وَسَيَمْسَحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عْيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صَرَخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الْأُولَى قَدْ مَضَتْ" (رو ٨: ١٨).

من أجل هذه المحبة المترفقة، قيل عنة أنه "عزاء من ليس له عزاء، ومعين من ليس له معين". كما يقول الكتاب عن الآب أنه "مُبَارَكٌ اللَّهُ أَبُو رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَالْهَ كُلِّ تَعَزِيَةٍ" (١كو ١: ٣).

من أجل ذلك نقول عن الله في صلواتنا أنه: "عزاء صغيري النفوس، ميناء الذين في العاصف". لقد عزى بطرس الرسول الذي بكى بكاء مرأً بعد أن أنكره ثلاث مرات (مت 26: ٣٤). لذلك قابله بعد القيامة، وقال له: "ارْعَ عَنِّي، ارْعَ خِرَافِي" (يو ٢١: ١٦). لذلك قابله بعد القيامة، وذلك لئلا يظن بعد نكرانه أنه قد فقد رسوليته، أو أنه انطبق عليه قول الرب: "وَلَكِنْ مَنْ يُكْرِني قُدَّامَ النَّاسِ أُكْرُهُ أَنَا أَيْضاً قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ٢٣: ١٢) .

كان السيد المسيح أيضاً مترقفاً بتوما في شكوكه، وسمح له أن يلمس جراحه ويؤمن (يو ٢٠: ٢٧). كما ترقى أيضاً بالمجدلية، وأزال شكوكها وثبتها في الإيمان (يو ٢٠: ٢٨). لهذا كله يقول الرسول: "وَيَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَبِيهَا الْإِخْوَةُ: أَنْذِرُوا الَّذِينَ بِلاَ تَرْتِيبٍ. شَجَّعُوا صِغَارَ النَّفُوسِ، أَسْنِدُوا الضُّعَفَاءَ. تَأْتُوا عَلَى الْجَمِيعِ" (١ كور ١٤: ٢٢) .

لعل أيضاً من أبرز الأمثلة للمحبة المترفقة: الرفق بالخطاة . وفيها يقول الرسول: "أُنْكَرُوا الْمُقَيِّدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقَيِّدُونَ مَعَهُمْ، وَالْمُدْلِينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي الْجَسَدِ" (عب ١٣: ٣) .

أخيراً نقول أن طول الأناة والرفق لا يمنعان التأديب، لكن علينا أن نستخدم الوداعة مع التأديب كما يقول الرسول بولس لتلميذه الأسقف

تيموثاوس: "مُؤدِّباً بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ" (١: ٢٣). .

١٣. المحبة لا تحسد.

الحسد بمعناه اللغوي هو تمنى زوال النعمة أو الخير عن المحسود، وتحول هذه النعمة والخير إلى شخص الحاسد. فالحسد إحساس بالنقص وعدم المحبة، والأحاساس بالملء والفيض. إن الحسد عين ناظرة إلي الأرض، أما المحبة فهي عين ناظرة إلى السموات.

المحبة هي إنكار للنفس أو إماتة للذات ليحل الله مكانها. فالمحبة لا تطلب ما لنفسها بل ما هو للآخرين. لذلك من يحب يفرح ويسر لنمو الآخرين روحياً وجسدياً، ويشتاق لو أعطى له أن يتخلى عن كل ما اكتسبه من بركات أرضية وسمائية لأجل إخوته. فيوناثان لما أحب داود (صم ١٠٠) وكان يشتهي أن يرى إكليل أبيه على رأس داود، أكثر مما يشتهي أن يراه على رأسه، إذ قال له: "لَا تَخَفْ لِأَنَّ يَدَ شَاوُلَ أَبِي لَا تَجِدُكَ، وَأَنْتَ تَمْلِكُ عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَأَنَا أَكُونُ لَكَ ثَانِياً. وَشَاوُلُ أَبِي أَيْضاً يَعْلَمُ ذَلِكَ" (صم ١٠١: ١٠٢). بينما إخوة يوسف بسبب الحسد باعوا أخوهم وكادوا أن يقتلوه.

الحسد يجعل الإنسان يقف موقفاً عدائياً قِبَلِ اللَّهِ ذاته، وبالتالي يستحيل أن يستقر السلام في مثل هذا القلب.

أول ما نسمع عن الحسد في الكتاب المقدس نسمعه عن الشيطان الذي يقول عنه في القداس الباسيلي: "الموت الذي دخل إلى العالم بحسد إبليس هدمته". هكذا قال سفر الحكمة "لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم" (الحكمة ١: ١٣). فالشيطان حسد الإنسان على عشرته مع الله ومحبه الله له، فأراد أن يفصله عن تلك المحبة. فالشيطان لأنه خالٍ من المحبة التي لا تحسد نجاه دائماً يحسد أولاد الله ويقاثلهم بكل الطرق حتى يبعدهم عن الحياة الأبدية التي فقدوها من قبل.

وبسمعنا سفر العدد عن خطورة الحسد وما حل بقورح ودathan وأبيرام نتيجة حسدهما لموسي النبي وهارون، حيث يقول الكتاب: "وَحَسَدُوا مُوسَى فِي الْمَحَلَّةِ وَهَارُونَ قُدُّوسَ الرَّبِّ" (مز ١٠٥: ١٨). ونتيجة لهذا الحسد نجد الكتاب يقول: "وَفَتَحَتِ الْأَرْضُ فَاَهَا وَابْتَلَعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُلَّ مَنْ كَانَ لِفُورَحَ مَعَ كُلِّ الْأَمْوَالِ" (عد ١٦: ٣٢).

كما أن سفر الأمثال يوضح أن الحسد هو نخر للعظام "حَيَاةُ الْجَسَدِ هُدُوءُ الْقَلْبِ وَنَخْرُ الْعِظَامِ الْحَسَدُ" (ام ١٠: ١٠). فالإنسان الحسود قلبه خالٍ من الحب لذا لا يكون في سلام أبداً بل يكون في حزن دائم واكتئاب شامل نتيجة لنجاح أي شخص حوله.

كما أن سفر الحكمة يعلمنا بأن لا نصاب الحسد ولا نسايره: "ولا اسير مع من يذوب حسداً لان مثل هذا لا حظ له في الحكمة" (الحكمة ٥: ١٠). كذلك الحكيم بن سيراخ يتكلم عن الحسد فيقول: "لا اخبث ممن يحسد بعينه و يحول وجهه و يحتقر النفوس" (سيراخ ١٠: ١٠). ويقول أيضاً: "العين الشريرة تحسد على الخبز و على مائدتها تكون في عوز" (سيراخ ١٠: ١٠). كذلك ينبه قائلاً: "لا تستشر من يرصدك و اكرم مشورتك عن يحسدك" (سيراخ ١٠: ١٠).

كما قال الكتاب المقدس عن بيلاطس عند تسليم اليهود للرب يسوع: "لأنه علم أنهم أسلموه حسداً" (مت ٢٧: ١٨)، "لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً" (مر ١٤: ١٠). ونتيجة لهذا الحسد حرموا أنفسهم من الإيمان به والتمتع بخيراته بل والتأمر على قتله وصلبه بأيدي الغرباء وليس ذلك فقط بل وطلبوا إطلاق باراباس القاتل بدلاً عن الرب يسوع وقالوا: "ليس لنا ملك إلا قيصر". إن نتائج الحسد خطيرة ليتنا نبتعد عنه بالتمسك بالمحبة التي هي خير علاج للحسد فالمحبة لا تحسد أحداً.

القديس بولس الرسول أرجع الحسد إلى الكبرياء والعجب فنجده يقول: "لا نكون معجبين نغاضب بعضنا بعضاً، ونحسد بعضنا بعضاً" (غل ٥: ٢٦). ويقول أيضاً: "فقد تصلف، وهؤلاء يفهم شيئاً، بل هو متعلل

نهاية لغشّه، أما الحسد فليست له حدود. إنه شر يعمل على الدوام وخطية ليس لها نهاية".

فى نفس المعنى يقول القديس يوحنا ذهبى الفم: "لا توجد خطية تفرق الإنسان عن الله والناس مثل الحسد، لأن هذا المرض أشد خبثاً من محبة الفضة. لأن محب الفضة يفرح متى ربح شيئاً، أما الحاسد فيفرح متى خسر أحد شيئاً أو ضاع تعبهُ سُدًى، ويشعر أن خسائر الآخرين ربحاً له أكثر من أي نجاح. فأَيُّ شرٍّ أعظم من هذا؟! الزاني يتورط فى الخطأ لأجل لذة مؤقتة والسارق قد تكون له حجة الفقر، ولكن أي عذر تقدمه أيها الحاسد؟! الزاني يحصل على لذة زمنية أثناء ارتكابه الخطية، ثم يعود فيرفضها ... فيتوب ويخلص، أما الحاسد فيعذب نفسه ولو لم يحدث له ضرر ممن يحسده. فلهذا خطية الحسد أشر الخطايا وأشنعها، لأن الحاسد لا يمكنه ترك خطيته بسهولة، بل يصير كالخنزير المتمرغ فى الحمأة، ويمائل بفعله الشيطان... لهذا أقول لكم أنه ولو كان أحدكم يصنع معجزات أو يحفظ البتولية، أو يكون صوّاماً أو باسطاً كفّيه فى الرحمة أو ينام على الحضيض أو يصل بهذه الوسائط إلى فضيلة الملائكة؛ ولكن فيه آلام الحسد فلا محالة يكون أشر من جميع الخطاة وأردأ منهم".

من كل ما سبق يتضح لنا أن الحسد لا يتمشي نهائياً مع المحبة، فكيف أحسد من أحب، فعندما يحب الإنسان يتمنى ولو كان من

يحبّه أفضل منه مئات المرات ولنا في حب الأم والأب لأبنائهما مثلاً. هذه هي غريزة الحب التي لا تحسد أبداً.

عزيزى القارىء: إن من أهم أسباب الحسد هو عدم الاحساس بالشبع والاكْتفاء بالله، والعلاج الأول هو أن تلجأ النفس إلى الرب يسوع مصدر شبعها، فالنفس التي تبحث عن ينبوع آخر من ينابيع العالم فتزداد ظمأها أكثر، فإن طلبت أمجاد العالم وممتلكاته تحسد، كل من يملك أو ينال أكثر منها، بل وتحسد من هم أقل منها، لأن النفس العطشى تطلب كل العالم لعله يشبعها، ولم يشبع.

■. المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ

تكلّمنا من قبل عن الفرق بين الترفق وطول الأناة نقول هنا أيضاً بالتفاخر هذا أمر شخصي داخل النفس البشرية أما الانتفاخ فهو يكون على الآخرين. فالمحبة لا تفتخر بالمواهب، بل تستخدمها في اتضاع لنفع وخدمة الآخرين.

إن الإنسان الذي تعلم الحب من السيد المسيح لا يمكن أن يفتخر أو ينتفخ، بل يتمثل بسيدّه الذي من أجل الحب أخذ شكل العبد. ومن أجل الحب أيضاً جاء ليخدم لا ليُخدم. من أجل الحب أيضاً أطاع حتى الموت موت الصليب. فالإنسان الذي انسكبت فيه محبة الله بالروح القدس يُدرك حقيقة عضويته وعضوية إخوته في جسد الرب،

لذلك لا يحتقر أحدًا ولا يزدري به، بل يحسب الكل مكرّمين لأجل الرب، فيردد مع القديس بولس الرسول: "وَأَعْضَاءُ الْجَسَدِ الَّتِي نَحْسِبُ أَنَّهَا بِلاَ كَرَامَةٍ نُعْطِيهَا كَرَامَةً أَفْضَلَ. وَالْأَعْضَاءُ الْقَبِيحَةَ فِينَا لَهَا جَمَالٌ أَفْضَلُ. وَأَمَّا الْجَمِيلَةُ فِينَا فَلَيْسَ لَهَا احتِياجٌ. لَكِنَّ اللَّهَ مَرَجَ الْجَسَدَ مُعْطِيًا النَّاقِصَ كَرَامَةً أَفْضَلَ لِكَيْ لَا يَكُونَ انشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ بَلْ تَهْتَمُّ الْأَعْضَاءُ اهْتِمَامًا وَاحِدًا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ" (كول 3: 12-14).

في هذا يقول القديس أكليمنضس الروماني: "لنأخذ جسدنا كمثال، الرأس بدون الرجلين ليس بشيء، كذلك الرجلان بدون الرأس. فكل الأعضاء حتى أصغرها وأحقرها ضرورية ومفيدة للجسم، فالكل يعمل معًا في انسجام وتحت ضابط واحد، لأجل المحافظة على الجسد كله. إذًا لنحافظ على سلامة الجسد في المسيح يسوع، خاضعين بعضنا لبعض، كل بحسب الموهبة التي نالها من الله. فالقوي لا يحتقر الضعيف، والضعيف يكرم القوي. والغني يشبع احتياجات الفقير، والفقير يشكر الله الذي وهبه إنسانًا يشبع احتياجاته".

في هذا يعطينا القديس باسيليوس الكبير علاجًا صالحًا لتكبرنا وعجرفتنا على إخوتنا فنجدده يقول: "بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نَفُوسَنَا لِأَجْلِ الْإِخْوَةِ" (يو 13: 1-17).

الحد، أي إلى بذل أنفسنا عوضًا عن إخوتنا، فبالأحرى إذا أن تبلغ بنا إلى أشياء كثيرة نصادفها كل يوم، وهي أقل كلفة بكثير عن بذل أنفسنا عنهم. فأحد هذه الأشياء وأحقّها؛ الذي تقتضيه المحبة منّا وتعيننا في حياتنا ونموها هو اعتبارنا للقريب، فهذا عليه يتأسس ويعتمد كل بنيان المحبة الحقيقية ... فاعتبارنا لاختوتنا يجعلنا نحبههم ونكرمهم ونخدمهم ونتمنحهم بقية ضرورات المحبة. فبمقدار ما يزيد فينا اعتبارنا لهم ... تزداد فينا المحبة وتوابعها، لهذا يحث الرسول أهل فيلبي "لَا شَيْئًا يَتَحَرَّبُ أَوْ يَعْجَبُ، بَلْ بِتَوَاضُعٍ، حَاسِبِينَ بَعْضُكُمُ الْبَعْضَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ" (في ٥: ٢٠). وقال أيضًا لأهل رومية "وادين بعضكم بعضًا بالمحبة الأخوية، مقدّمين بعضكم بعضًا في الكرامة".

المحبة لا تقبح

القباحة هي أن يسلك الإنسان بعدم لياقة إرضاءً ُ لِنزعاته الدنيوية أو دفاعاً ُ عن حقوقه المسلوبة. أما المحبة فقد فطمت نفسها حتى من الأشياء المباحة. فالمحبة لا تطلب ما لنفسها.

إن القباحة جاء عنها بالكتاب المقدس أنها أبشع حالات الخطية (الخطية التي لا تُقبل) فنجدها مكتوبة عند مضاجعة شكيم بن حمور لدينة بنت يعقوب: "لأنّهُ صَنَعَ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ

يَعْقُوبَ. وَهَكَذَا لَا يُصْنَعُ" (تك ١١: ٢٠). وقيل أيضاً عند زنا البنت وهي في بيت أبيها: "يُخْرِجُونَ الْفَتَاةَ إِلَى بَابِ بَيْتِ أَبِيهَا وَيَرْجُمُهَا رِجَالُ مَدِينَتِهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ لِأَنَّهَا عَمِلَتْ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِزِنَاهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا. فَتَنْزَعُ الشَّرُّ مِنْ وَسْطِكَ" (تث ٢٢: ٢٠).

كما جاءت في قصة الرجل وسريته التي أزلوها بني بليعال وأمانوها (قض ١٩). كما جاءت أيضاً في قصة أمنون مع اخته ثامار فنجدها تقول له: " فَقَالَتْ لَهُ: لَا يَا أَخِي، لَا تُثَلِّنِي لِأَنَّهُ لَا يُفْعَلُ هَكَذَا فِي إِسْرَائِيلَ. لَا تَعْمَلْ هَذِهِ الْقَبَاحَةَ " (صم ١٣: ١٤).

القباحه تُطلق علي الشئ غير الجميل، فنقول أن منظره قبيح وهكذا جاء في حلم فرعون: " ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ أُخْرَى طَالِعَةٍ وَرَاءَهَا مَهْزُولَةٌ وَقَبِيحَةٌ الصُّورَةِ جِدًّا وَرَقِيقَةُ اللَّحْمِ. لَمْ أَنْظُرْ فِي كُلِّ أَرْضٍ مِصْرَ مِثْلَهَا فِي الْقَبَاحَةِ " (تك ٤١: ٢٠).

إذن فالقباحه علي المستوى الروحي هي كل فعل أو قول أو فكر قبيح. وهذا لا يتمشى مع محبتنا لله ولا محبتنا بعضنا لبعض ولا محبتنا لأنفسنا كذلك. فالقديس بولس الرسول ينصحننا قائلاً: " وَلَا الْقَبَاحَةُ، وَلَا كَلَامُ السَّفَاهَةِ وَالْهَزْلِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ الشُّكْرُ " (اف ٥: ٤).

إن التفاخر ضد المحبة، فكم بالإكثر التفاخر الذي يقبح غيره. الذي يقيم مقارنة بينه وبين غيره، فإذا به هو الأفضل، وغيره الأدنى، مع ذكر مساوئ هذا الغير. إن تحقير الآخرين لا يتفق مع المحبة التي يفترض فيها أن تستر عيوب الآخرين لا أن تقبحهم، أو تشهر بهم وتظهر مساوئهم .. بل المحبة بالأكثر تدافع عن الغير، لا أن تنمه.

§. المحبة لا تطلب ما لنفسها

الإنسان الذي يحب الله ويحب الناس يطلب دائماً ما لله وما للناس. فالمحبة لا تفكر في ذاتها، ولكن فيمن تحب. ذلك لأنه إن كان من طبيعة الأنانية أنها دائماً تريد أن تأخذ، فإنه من صفات المحبة أنها تريد أن تعطي. فالإنسان الذي يحب الله محبة حقيقية يردد مع المزمور في المزمور: "مَنْ لِي فِي السَّمَاءِ؟ وَمَعَكَ لَا أُرِيدُ شَيْئاً فِي الْأَرْضِ" (مز ١٢٤: ١٢٤) ويردد أيضاً "وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أُلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي لِكَيْ أُنْظَرَ إِلَى جَمَالِ لَرَّبِّ وَأَنْقَرَسَ فِي هَيْكَلِهِ" (مز ١٢٤: ١٢٤). فالذي يحب الله لا يطلب سواه فهو الشبع فيه الكفاية والكفيل لكل ما نريد دون أن نطلب أو نستجير. لذلك يوصينا السيد المسيح "لَكِنْ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ وَهَذِهِ كُلُّهَا تَزَادُ لَكُمْ" (مت ٦: ٣٣) ... بمعنى أننا مطالبون بأن لا نطلب ما لأنفسنا ولكننا مطالبون بأن نطلب ملكوت الله وكل شيء سوف نزداده دون أن نطلب.

الإنسان الذي يحب الله دائماً يطلب ويفكر فيما يرضي الله لا ما يرضى نفسه وذلك في الصلاة والصوم والصدقة. فرغم أن نفسه تطلب الراحة والأكل والنوم إلا أنه لا يطلب ما لنفسه بل يطلب ما لله الذي يحبه. وخير مثال لمن أحبوا الله ولم يطلبوا ما لأنفسهم آباؤنا الشهداء الذين لم يطلبوا ما لأنفسهم بل بذلوا راضين. كذلك آباؤنا الرهبان والنسك الذين سكنوا الجبال والبراري تاركين كل شيء من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح الذين سكنوا الجبال والبراري وشقوق الأرض، من أجل عظم محبتهم للملك المسيح. إنهم لم يطلبوا أبداً ما لأنفسهم. بل تركوا المال والأهل والوظائف وكل المتع الأرضية. وعاشوا منسيين، بلا طعام بلا راحة، لا يطلبون سوى الله، الذي صار لهم هو الكل في الكل.

إن السيد المسيح خير مثال لنا في المحبة التي لا تطلب ما لنفسها فهو لأجل محبته لنا ومحبته للآب ولكي يعلمنا المحبة التي لا تطلب ما لنفسها نسمعه كثيراً يردد بفمه الطاهر: "طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُنَّمَّ عَمَلُهُ" (يو ٤ : ٣٤). ويقول أيضاً: "لَأَنِّي لَا أَطْلُبُ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو ٦ : ٣٨). كذلك قوله: "لَأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لَأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي" (يو ٨ : ٢٩).

لذلك نجد أن السيد المسيح من أجل محبته للبشر "أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ" (في 2:7). وابتعد عن كل مجد عالمي. ولم يكن له أين يسند رأسه، فهو الذي قَالَ: "لِلنَّعَالِِبِ أُوجِزُهُ وَلِلطُّيُورِ السَّمَاءِ أُوكَّارُ وَأَمَّا ابْنُ الْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنَدُ رَأْسُهُ" (لو 9:58).

كذلك لم يطلب السيد المسيح ما لنفسه، حينما انحنى وغسل أرجل تلاميذه (يو 13)، وحينما بذل ظهره للسياط ، ثم صعد على الصليب، ولم يدافع عن نفسه. وبذل حياته عنا، البار لأجل الآثمة، في ذلك يقول القديس بولس: "وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيَّنَّ مَحَبَّتَهُ لَنَا لِأَنَّهُ وَحْنُ بَعْدُ خُطَاةً مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا" (رو 8:5).

كذلك أبونا إبراهيم خير مثال للمحبة التي لا تطلب ما لنفسها فمحبته للوط ترك له النصيب الأكبر وأنقذه عند الحاجة ومن أجل محبته لله ترك كل شيء بل وافق علي التضحية بابنه في سبيل محبته وطاعته لله. تلك هي المحبة الحقيقية التي لا تطلب ما لنفسها. ليس هذا فقط بل تترك أيضاً ما لنفسها من أجل محبتها لله وللآخرين.

مثال آخر وهو القديس يوحنا المعمدان الذي من أجل محبته للسيد المسيح لم يطلب ما لنفسه بل نجده يقول "يَنْبَغِي أَنْ ذَلِكَ يَرِيدُ وَأَنِّي أَنَا

أَنْقُصُ" (يو ١٣ : ١٢) .. ومن أجل محبته للحق لم يطلب ما لنفسه بل بذلها راضياً بالسجن أو بقطع رأسه.

القديس بولس الرسول أيضاً من أجل محبته للمسيح لم يطلب أبداً ما لنفسه بل قبل أن يخسر كل شيء وقد حسبها نفاية من أجل محبته للمسيح: "الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نَفَايَةً لِكَيِّ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ" (في ٣ : ٨). ومن أجل محبته للمخدومين لم يطلب أيضاً ما يوافق نفسه بل الآخرين لكي يخلصوا "كَمَا أَنَا أَيْضاً أَرْضِي الْجَمِيعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِ طَالِبٍ مَا يُوَافِقُ نَفْسِي بَلِ الْكَثِيرِينَ لِكَيِّ يَخْلُصُوا" (١ كو ١٣ : ٣). بل من أجل محبته للمسيح نجد القديس بولس يقول "مَعَ الْمَسِيحِ صُلِّيتُ، فَأَخْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحِ يَحْيَا فِي" (غل ٢ : ٢٠).

لذلك ينصحنا القديس بولس قائلاً: "لَا يَطْلُبُ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مَا هُوَ لِلْآخَرِ" (١ كو ١٣ : ٥). فالإنسان الذي يمتلئ قلبه بالمحبة لله وللآخرين لسانه حاله يردد في كل المواقف والظروف عبارة "لا أنا". لذلك يجب علي الإنسان المحب أن يطلب أولاً ما يخص الله ثم ما يخص الآخرين وإن أراد أن يطلب شيئاً لنفسه فلتكن ملكوت السموات التي سوف ينالها طبيعياً بمحبته لله وللآخرين. هذه المحبة التي لا تطلب ما لنفسها دائماً تأخذ دون أن تطلب.

إن المحبة التي لا تطلب ما لنفسها مطلوبة في كل المجالات الروحية، مطلوبة في الخدمة، فالخدمة حب لله وللخدمين، والخدم الذي يحب دائماً ما لا يطلب ما يوافق نفسه بل ما يوافق المخدمين وذلك لأنه يخدم غير طالب شيئاً لنفسه سواء كرامة أو رئاسة أو مديح، أنه يطلب فقط ما للآخرين وما لله لكي يصل بالمخدمين إليه.

لذلك الخادم المحب الذي لا يطلب ما لنفسه لا يهتم كثيراً أن يكون في المقدمة بل كل ما يهتم مصلحة مخدميه. فالإنسان المحب للآخرين لا يطلب ما لنفسه بل يخدم الآخرين ولو كان ذلك علي حساب تعب أو ماله. فالعطاء من الأعواز نوع عظيم من المحبة التي لا تطلب ما لنفسها. نجد هذا الفعل خلال المرأة الأرملة الفقيرة التي ألفت فلسين من أعوازاها بل ألفت كل معيشتها .. هذه هي المحبة التي لا تطلب ما لنفسها. هكذا أرملة صرفة صيدا، التي لم تطلب ما لنفسها في وقت المجاعة. وأعطت كل ما عندها من زيت ودقيق لإيليا النبي (ﷺ). فاستحقت بذلك أن يباركها الرب وبيارك خيراتها طول زمن المجاعة.

ليتنا نصلي لكي نحصل علي تلك المحبة التي لا تطلب ما لنفسها بل ما لله وللآخرين لأن من نتيجة تلك المحبة إننا نحصل على كل شئ. هذه المحبة بها فرح وسلام .. فرح بالله وسلام مع الآخرين.

أخيراً يمكننا أن نقول أن الإنسان الذي لا يطلب ما لنفسه سوف يربح نفسه .. ولكن الإنسان الذي يطلب ما لنفسه سوف يخسرها كما قال السيد المسيح بضمه المبارك: " فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الْإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا" (مر ٨: ٣٥)، (لوقا ١٤: ٣٥) .

فى هذا الأمر يقول للقديس يوحنا ذهبى الفم: "إنن لا تطلبوا ما لأنفسكم فتجدون أنفسكم. لأن من يطلب ما لنفسه لا يجدها. فإن نفعك قائم في نفع أخيك، ونفعه هو لنفعك". كما يقول أيضاً الشيخ الروحانى: "إن كنت قد وُلدت بالمسيح حقاً، فكل مولود من المسيح هو أخوك. فإن أحببت نفسك أكثر من أخيك، فهذه الزيادة ليست من المسيح".

٨. المحبة لا تحتد.

الذي يحب، لا يحتد على من يحبه، أى لا يغضب عليه، ولا يثور، ولا يعامله بحده، أى بشدة وعنف. بل على العكس بوداعة، وبحب، وطيبة قلب. لقد تكلم القديس بولس عن المحبة التي لا تحتد بعد صفة المحبة التي لا تطلب ما لنفسها لأنه من الطبيعي أن الذي لا يطلب ما لنفسه، لا يحتد. إنما الذى يحتد الذي يطلب لنفسه كرامة ومعاملة خاصة، ولا يجد ذلك. ويحتد الذي يطلب لنفسه طاعة

وخضوعاً، ولا يعامل هكذا. أما إن كان لا يطلب لنفسه شيئاً من هذا كله وأمثاله، فطبيعي أنه لا يحتد.

إن خير مثال للمحبة التي لا تحتد، الله تبارك اسمه، الذي قيل عنه المزمور إنه: "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا". الله الذي قال عنه يوثيل النبي إنه: "وَمَزَّقُوا قُلُوبَكُمْ لَا تَبَابِكُمْ وَارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكُمْ لِأَنَّهُ رَأُوفٌ رَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّأْفَةِ وَيَبْدَأُ عَلَى الشَّرِّ" (يوثيل ١٠: ١٠). وقال عنه يونان النبي إنه: "بطئ الغضب كثير الرحمة" (يونان ٤: ١٠). هكذا قال أيضاً داود إنه: "الرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَأُوفٌ طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ" (مز ١٠٣: ٨). فالله لم نره يحتد رغم بشاعة الخطايا التي فعلها أحبائه فنراه لم يحتد على بطرس رغم انكاره ولا على توما رغم شكه ولا على التلاميذ رغم خوفهم ولا حتى على صالبيه رغم قساوتهم بل طلب لهم المغفرة.

الله لم يحتد فقط على محبيه بل لم يحتد أيضاً على الخطاة البعيدين عنه بل نراه لا يدين المرأة التي أمسكت في ذات الفعل بل ويدافع عنها كما دافع عن المرأة الخاطئة في بيت سمعان. لم يحتد على المرأة السامرية بل أخذها باللين والرفق واستطاع بذلك تحويلها من خاطئة إلى مبشرة.

يجب كذلك علي الأم والأب والأسرة عموماً أن لا تحتد على أولادها بل تتعامل معهم بالمحبة التي لا تحتد بل تستخدم النصح والارشاد والحوار مع العطف والحنو. يجب علينا جميعاً أن نتعلم المحبة التي لا تحتد حتى نعيش حياة ملؤها السعادة والسلام مع أنفسنا ومع الآخرين كذلك .

❏ المحبة لا تظن السوء

القلب المحب من صفاته أن لا يشك في أحد بل لديه ثقة في كل أحد. فالإنسان صاحب القلب المحب لا يظن السوء فيمن من حوله سواء لم يجد إن ما يدعو شئ يدعو لهذا أو حتى إذا كانت هناك أشياء تدعو لسوء الظن فهو يعزو أخطاء الغير إلى سوء الفهم أو أنهم لم يقصدوا أو إنها حرب من الشيطان أو بأنها بسماح من الله.

إن السيد المسيح أراد أن يعلمنا المحبة التي لا تظن السوء وهو على الصليب نجده لا يظن السوء بصالبيه بل يطلب لهم المغفرة ويعمل ذلك بانهم لا يعلمون ماذا يفعلون.

كما أن هناك مثال واضح لسوء الظن في الكتاب المقدس مرة أرسل داود النبي رسل لكي يعزوا ملك بني عمون في وفاة أبيه فسوء الظن جعل بني عمون يشكون فيهم كجواسيس وليس كمعزين فقصوا لحاهم

وشقوا ثيابهم وأرسلوهم وما كان من سوء الظن هذا إلا إن اندلعت حرب شعواء مات فيها بني عمون.

الإنسان المحب يحب كل الناس ويؤمن أنهم خيرون بطبعهم الذي خلقهم عليه الله وإن كان هناك شر فسببه الشيطان وليس البشر. المحبة التي لا تظن السوء هي حل لكثير من المشاكل والعكس صحيح فالظن السيئ يولد الكثير من المشاكل والخلافات مع الجميع.

الإنسان المحب الذي لا يظن السوء يعيش في سلام وحب مع كل الناس ومع نفسه عكس الشخص الذي يظن السوء لا يعيش في سلام بل نجده طوال الوقت قلق متوتر يفكر بالشر فيمن حوله. حُسن الظن لا يعني عدم التصرف بحكمة ولكن معناه أن لا نترك فرصة لعدو الخير لزرع الشكوك بيننا وبين الآخرين. معناه ألا نتسرع في الحكم علي الآخرين بل علينا أن ندافع عن الناس بقدر ما يمكن ولا نحفظ بسجل لخطايا الآخرين بل علينا أن نشغل أنفسنا بالأعمال الصالحة وخدمة الآخرين بدلاً من ملاحظة أخطائهم والتفكير في شرورهم.

٥. المحبة لا تفرح بالاثم.

الإثم هنا له ثلاثة معانٍ (إثم - شر - ظلم). فالإنسان المحب لله وللآخرين لا يفرح بخطاياهم لأنها عدواة لله الذي يحبه وعثرة للناس الذي يحبهم أيضاً.

هناك أمر آخر وهو أن المحبة لا تفرح بإثم الآخرين ولكن تفرح بتوبتهم ورجوعهم عن أخطائهم. فالشخص المحب يبكي على الخطاة ويذكرهم في صلواته لكي يرحمهم الله لكي يتوبوا ويرجعوا إليه.

هناك بعض الترجمات لهذه الآية: "لا تفرح بالظلم" وقد فسرها الآباء أي أن المحبة الحقيقية لا تفرح ولا تشمت بالظلم أو العقاب الذي يحل حتى بأعدائها لأنها مطالبة بمحبة الأعداء والصلاة لأجلهم ومباركتهم وليس للفرح بهم والشماتة فيهم. فالمحبة لا تفرح بأي ظلم من أي نوع يقع على أي شخص. فان كانت المحبة مطالبة بعدم الفرح لأي ضرر طبيعي أو عادل يقع بأي شخص. فماذا نراها تفعل حيال الظلم؟! بالتأكيد انها مطالبة بأن لا تفرح به ليس هذا فقط بل مطالبة بالدفاع عن المظلومين والصلاة لأجلهم ومواساتهم.

كذلك المحبة التي لا تفرح بالظلم مطالبة طبيعياً بأن لا تظلم هي أحد كما ينصح القديس يوحنا المعمدان الجند سائليه: "لَا تَظْلُمُوا أَحَدًا وَلَا تَتَّشُوا بِأَحَدٍ وَاكْتَفُوا بِعَلَانِيَتِكُمْ" (لو ١٢: ٢٢). ليس ذلك فقط بل إن الإنسان المحب مطالب أيضاً بأن لا يكون به ظلم كما قال السيد المسيح عن نفسه "مَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ يَطْلُبُ مَجْدَ نَفْسِهِ وَأَمَّا مَنْ يَطْلُبُ مَجْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فَهُوَ صَادِقٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمٌ" (يو ٨: ١٣).

يجب أن نتمثل بالله الذي قال عنه بولس الرسول: "فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ عِنْدَ اللَّهِ ظُلْمًا؟ حَاشَا!". (رو٥: ٢٠). يجب أن نتمثل أيضاً بقديسيه أمثال بولس الرسول الذي افتخر قائلاً: "اقْبَلُونَا. لَمْ نَظْلَمْ أَحَدًا. لَمْ نُفْسِدْ أَحَدًا. لَمْ نَطْمَعْ فِي أَحَدٍ" (كو٤: ١٠). فالإنسان المحب يضع أمام عينيه علي الدوام الآية التي تقول "وَأَمَّا الظَّالِمُ فَسَيَبَالُ مَا ظَلَمَ بِهِ، وَلَيْسَ مُحَابَاةً" (كو٤: ١٢).

الله يمكن أن يحتمل خيانة بطرس وشك توما وخوف التلاميذ ولكنه لا يستطيع أن يحتمل الظلم وقد ظهر هذا مع يهوذا الذي شهد بظلمه قائلاً: "قَائِلًا: قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا". فَقَالُوا: «مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ!» (مت ٢٦: ٢٤).

٢٥. المحبة تفرح بالحق

الحق عكس الظلم عكس الاثم عكس الشر. فالإنسان المحب نجده يفرح بالبر، بره هو وبر الآخرين. يفرح بتقدمه الروحي، ويفرح بتقدم الآخرين، لا يحسدهم ليس هذا فقط بل يفرح بتقدمهم ومواهبهم الروحية.

كذلك الحق عكس الباطل وعكس الظلم فلا يمكن للإنسان المحب أن يقف بجوار الباطل أو الظلم ولو بدافع العطف والشفقة. أنه لا يحابي سواء مع نفسه فلا يبرر أخطاءه ولا مع الآخرين بل نجده دائماً بجوار

الحق يدافع عنه سواء كان هذا الحق عقائدياً أو أخلاقياً. ولكن الدفاع عن الحق يجب أن يكون بوداعة وحلم وطول أناة ولا يكون فيه احتداد.

الحق أيضاً بمعنى الصدق فالإنسان المحب يجب أن يكون صادقاً في كل شئ في كلامه وفي تصرفاته كذلك في مشاعره وعلاقته الروحية مع الله سواء في الصلاة أو الصوم أو السجود. فيؤكد القديس بولس الرسول الفرح بالحق عندما يقول: "إِذَا لِلْعَيْدِ لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَنِيْقَةٍ وَلَا بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ بَلْ بِفَطِيرِ الْإِخْلَاصِ وَالْحَقِّ" (١ كور ٥: ٨). فالعيد فرح بالحق.

المحبة تحتل كل شئ.

من أعظم الأدلة على أن المحبة تحتل كل شئ ما احتمله السيد المسيح ابن الله الوحيد من أجل محبته للبشر وهو لم يكن مجبراً بل وكان قادراً علي أن يحضر جيشاً من اثني عشر ألف ليدافع عنه، ولكننا نجده في محبته احتمل الصلب والمسامير والتعيير والبصق والالطم والإهانة والشوك.

من الأدلة العظمي أيضاً علي أن المحبة تحتل كل شئ احتمال الله لخطايا البشر وتعدياتهم وعنادهم وظلمهم راغباً في رجوعهم وتوبتهم. ليتنا نتعلم من احتمال الله لنا بسبب محبته أن نحتمل الآخرين

ونحبهم. والذي يحتمل غيره بالطبع سوف يحتمله الله. ليتنا نحتملهم كما يحتملنا الله. ونحتملهم لكي يحتملنا الله. لأنه يقول: "لأنَّكُمْ بِالِدِّيُّونَةِ الَّتِي بِهِا تَدِينُونَ تُدَانُونَ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (مت ٢٣: ١٢) ، (مر ١٢: ١٢).

هناك دليل آخر علي المحبة التي تحتمل كل شئ آباؤنا الشهداء والمعترفين واحتمالهم لآلام وعذابات تفوق طاقة البشر ولولا محبتهم في المسيح لما استطاعوا أن يحتملوا. فأباؤنا النساك والمجاهدين سواء من الرهبان أو المتبتلين أو المتزوجين محبتهم للمسيح هي التي جعلتهم يحتملون كل شئ من جوع وعطش وعُري ولولا المحبة التي تحتمل كل شئ لما استطاعوا ذلك.

دليل طبيعي آخر يدل علي أن المحبة تحتمل كل شئ وهو الأم والأب الذين يحتملون متاعب الحياة ومشقتها من أجل محبة أبنائهم لكي يوفروا لهم سُبُل العيش الكريم.

إن كانت المحبة قادرة علي ذلك فعلينا اللجوء إليها واقتناءها، علي الأقل لكي نحتمل نقائص الآخرين وضعفاتهم تجاهنا. علينا بالمحبة في تحمل كل ظروف الحياة الصعبة وما يأتي علينا من يد الله سواء ضيقات أو أمراض، فالمحبة وحدها تستطيع أن تحتمل كل شئ. فالذي يحب شخصاً، يكون مستعداً أن يحتمل منه، وأن يحتمل من

أجله. فأبونا يعقوب أبو الآباء احتمل الكثير من أجل محبته لراحيل. ويقول الكتاب: "فَحَدَمَ يَعْقُوبُ بِرَاحِيلَ سَبْعَ سِنِينَ وَكَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لَهَا" (تك ٣٠: ١٥-١٦).

المحبة تصدق كل شئ.

تصدق كل شئ، أى تؤمن بكل شئ، وهذه الصفة تخص العلاقة بين الانسان والله. فالايمان يخص الله فهو الوحيد المضمون تصديقه في كل شئ بسبب محبته غير المحدودة لنا وبسبب محبتنا الكبيرة التي يجب أن نبادله بها.

نصدق الله في كل شئ بسبب محبتنا له، ومحبته لنا، فنؤمن ونصدق أولاً بوجوده في كل زمان ومكان. نصدق كلامه ومواعيده التي جاءت بالكتاب المقدس. نؤمن بمحبته لنا ورعايته لنا مهما مر علينا من محن وتجارب.

أما عن تصديقنا للآخرين فى كل شئ يكون فيما لا يتعارض مع الله وكتابه المقدس.

هذه الصفة في المحبة تدعونا علي الأقل لعدم التشكيك في الآخرين والتعامل مع الآخرين ببراءة وحسن نية. المحبة وإن كانت تصدق كل شئ إلا إنها تكشف الكذب وتقضحه وتوقف عمله حينما

تواجهه بايجابيتها المتفائلة. فالتعامل ببراءة وحسن نية ليس معناه عدم استخدامنا للحكمة والحرص ولكن هذا يكمل ذاك كما يقول الكتاب ينبغي أن نعمل هذا ولا نترك تلك.

المحبة ترحو كل شئ.

المحبة ترحو كل شئ، أى أن لديها رجاء في الله وفي الآخرين وفي نفسها. نحن نثق في محبة الله فيكون لدينا رجاء من نحوه تجاه أنفسنا وتجاه الآخرين فمهما تكون ضعفاتنا فلنا رجاء في الله ومحبه وقدرته في أنه سوف يتدخل وينزع عنا كل ضعف. لنا رجاء في الله المحب مهما تكن ضراوة التجارب والضيقات التي نمر بها أو يمر بها الآخرين.

المحبة تعطى لنا رجاء أيضاً في ملكوت السموات كما يقول الرسول بولس: "إِنْ كَانَ لَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ فَإِنَّا أَشَقَى جَمِيعِ النَّاسِ" (كو ٤: ٤). ويقول أيضاً: "مِنْ أَجْلِ الرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ لَكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ الَّذِي سَمِعْتُمْ بِهِ قَبْلًا فِي كَلِمَةِ حَقِّ الْإِنْجِيلِ" (كو ٤: ٤). كذلك يقول: "عَلَى رَجَاءِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللَّهُ الْمُنْتَرَهُ عَنِ الْكُذْبِ، قَبْلَ الْأَزْمِنَةِ الْأَرْثَلِيَّةِ" (تي ٤: ١٠). وأيضاً: "مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَمُخْلَصِينَ يَسُوعَ الْمَسِيحَ" (تي ٤: ١٠).

كما أن هناك آيات جميلة تحسنا علي الرجاء منها في العهد القديم: "لأنَّ لِشَجَرَةِ رَجَاءٍ. إِنْ قُطِعَتْ تُخْلَفْ أَيْضاً وَلَا تُعَدَمْ أَغْصَانُهَا" (اي: ١٧: ١٨). أيضاً "لأنَّه مَنْ يُسْتَنْتَى؟ لِكُلِّ الْأَحْيَاءِ يُوجَدُ رَجَاءٌ فَإِنَّ الْكَلْبَ الْحَيَّ خَيْرٌ مِنَ الْأَسَدِ الْمَيِّتِ" (جا: ١٠: ١٠). فالمحبة ترجو كل شئ لأنها متفائلة دائماً لا تفقد الأمل في الفتيلة المدخنة ولا في مريض الثماني والثلاثين عاماً ولا في التي أنفتت كل معيشتها علي الأطباء ولا الميت الذي له في القبر أربعة أيام.

المحبة متسلحة برجاء حي لا يستنفده عدو الخير في خبثه وضراوة حربه، ولا في غباوة الإنسان وضعف جسده. المحبة ترجو دائماً ما دام للرجاء باب مفتوح. ولنا مثال في ذلك اللص اليمين الذي بقلبه المحب للسيد المسيح كان متمسكاً بالرجاء حتي وهو علي الصليب فنجاهه يقول: "اذكرني يا رب متي جئت في ملكوتك". ورغم مرور حياته كلها وهو لص نجد السيد المسيح يقول له: "اليوم تكون معي في الفردوس". نعم في المحبة رجاء والرجاء لا يخزي. المحبة والإيمان مرتبطان إرتباطاً وثيقاً لأنني كيف أحب بمن لا أؤمن به فالرجاء وليد المحبة.

المحبة تصبر علي كل شيء. ٤. ٥.

صفة المحبة التي تصبر على كل شئ جاءت بعد صفة المحبة التي
ترجو كل شئ. لأنه ليس هناك فضيلة تساعدنا على الصبر أعظم
من الرجاء. فالرجاء في الله يجعلنا نصبر على التجارب والضيقات
عالمين أن الله سوف يتدخل وإن سمح باستمرار التجارب فلدينا رجاء
ملكوت السموات. فالآلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن
يستعلن فينا. وأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد
أبدي. فالرجاء في الحياة الأبدية هو أكبر معين لنا على الصبر. فكل
الضيقات والتجارب والآلام لا تساوي لحظظة واحدة في ملكوت
السموات.

الفصل العاشر

المحبة فى الأسرة

الأسرة فى مفهومها العام هى كل البشر على مختلف ثقافتهم وديانتهم وأماكنهم وألوانهم فنحن جميعاً من أب واحد وهو آدم بل من أب واحد وهو الله الذى خلقنا والذى قال عنه بولس الرسول فى رسالته إلى أهل أفسس: "إِلَهُ وَآبٍ وَاحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكُلِّ وَفِي كُلِّكُمْ" (اف 4: 6).

علينا أن نعرف أننا جميعاً أسرة واحدة تظللنا سماء واحدة ونسير على أرض واحدة. فنحن مطالبون بأن نحب كل البشرية باختلاف أطيافها وألوانها فعلياً أن لا نتعصب لدولة ضد دولة أو لون ضد لون أو حتى دين ضد دين. نحن مطالبون بالحب للبشرية كلها متمثلين بالله الذى كتب عنه: "لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو 3: 16). وعندما أوصى السيد المسيح تلاميذه قبيل صعوده قال لهم "لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (مر 16: 15) ..

نحن مطالبون باظهار هذا الحب للعالم وكل الخليقة وذلك بالصلاة من أجل كل العالم حتي يصلهم الخلاص في المسيح يسوع. الصلاة من أجل المرضى والمساجين والمتضايقين. الصلاة لكي ينزع الله الحروب من العالم. من أجل هدوء وطمأنينة العالم. الصلاة من أجل الأماكن التي بها زلازل وبراكين وأعاصير وحرائق طبيعية.

الأسرة علي المستوى العام أيضاً هي المجتمع التي نعيش فيه سواء الدولة أو المحافظة أو المركز أو القرية أو حتى القارة. علينا أن نعرف أننا أسرة واحدة مشتركين في وطن واحد. علينا أن نحب بعضنا بعضاً، ونساعد بعضنا بعضاً، ونخدم بعضنا بعضاً. فيجب علينا أن نبعد عن أي تعصب أعمى سواء بسبب الدين أو المعتقد أو الطائفة، وأن نحب ونتكامل بالعطف على الفقراء والمساكين وخدمة الأيتام والمعوزين.

أما الأسرة في معناها الخاص فهي العائلة التي ننتمي إليها من أب وأم وإخوة وأقرباء. وهذا ما نركز عليه، مع توضيح مدى الحب الذي يجب أن يكون بين الزوج والزوجة ومدى الحب المتبادل بين الأبناء والوالديهم الذي يجب أن يسود محيط الأسرة.

الحب بين الزوجة والزوجة

إن أعظم حب تكلم عنه الكتاب المقدس بعد الحب بين الانسان والله هو الحب المتبادل بين الرجل وزوجته. فلا يوجد حب أعظم من أن يصير الإثنان واحداً فهذا هو الأساس الذي تأسس عليه سر الزيجة منذ بدء الخليقة وذلك على يد الله الذي قام بنفسه بآتمام هذا السر لأول مرة حينما قال: "لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَداً وَاحِداً" (تك2: 24). وقد أكد ذلك السيد المسيح عندما قال نفس العبارة في موضعين بالإنجيل هما (مت 19: 5) ، (مر 10: 7).

بل أن الله عندما خلق حواء لتكون زوجة له معيناً ونظيراً لم يخلقها بعيداً عنه بل خلقها من جنب الرجل بجوار قلبه لكي يحبها وهي تشناق إليه لأنها مأخوذة منه. فالحب الزوجي بين الزوج والزوجة في المسيحية قائم على عمل الروح القدس من خلال سر مقدس من أسرار الكنيسة السبعة التي تقوم عليها المسيحية فالروح القدس يسكب المحبة بين العروسين في هذا السر المقدس من خلال صلوات الكاهن بكنيسة الله المقدسة.

لقد أسهب القديس بولس الرسول في محبة الرجل لزوجته والزوجة لرجلها حتي أنه شبه محبة الرجل لزوجته بمحبة المسيح لكنيسته: "أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا" (اف 5: 25). فعلى الرجل أن يحب امرأته علي مستوى

حب المسيح للكنيسة. حب المسيح هو خلاص النفس. فيجب أن يكون أول كل شئ أن يبحث الرجل عن خلاص نفس زوجته. يجب أن يشجعها على الصلاة والصوم، والتناول من الأسرار المقدسة، وقراءة الكتاب المقدس. بل يجب عليه قبل كل شئ أن يكون هو قدوة في كل ذلك. لذلك أوضح الرسول بولس الرسول بأنه يجب أن يحب الرجل زوجته كما يحب جسده: "كَذَلِكَ يَحِبُّ عَلَى الرَّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ امْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ" (اف5: 28). فشئ غريب جداً عن المسيحية أن نسمع عن رجل يقوم بضرب امرأته، لأن هذا يعنى أنه يعذب جسده أو يؤلمه. لذا وجب على الرجل أن يحب زوجته كما يحب جسده، وذلك بأن يوفر لها ما تحتاجه من مأكّل ومشرب ومسكن كما يهتم بجسده تماماً. وقبل كل شئ يجب أن تكون زوجته قريبة منه كجسده يخاف عليها ويرعاها ويستترها كما يستتر جسده. فلا يجرح مشاعرها ويحترم كيانها وآراءها وأفكارها.

ويؤكد القديس بولس الرسول الكلام السابق قائلاً: "وَأَمَّا أَنْتُمْ الْأَفْرَادُ، فَلْيُحِبِّ كُلُّ وَاحِدٍ امْرَأَتَهُ هَكَذَا كَنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَلْتَهَبْ رَجُلَهَا" (اف5: 33). فنتيجة طبيعية من محبة الرجل لزوجته نرى الزوجة تهاب الرجل. ليس هناك شيئاً يكسبنا الاحترام والمهابة أكثر من المحبة.

محبة الرجال للزوجات كأجسادهم وكأنفسهم، بأن لا يقسو عليهن لا بالفعل أو بالقول: "أَيُّهَا الرَّجَالُ، احِبُّوا نِسَاءَكُمْ، وَلَا تَكُونُوا فُسَاءَ عَلَيَّهِنَّ" (كو3: 19) .

من الأمثلة الجميلة لمحبة الرجال لزوجاتهم محبة اسحق لرفقة "فَأَدْخَلَهَا إِسْحَاقُ إِلَى خَبَاءِ سَارَةَ أُمِّهِ وَأَخَذَ رِفْقَةَ فَصَارَتْ لَهُ زَوْجَةً وَأَحَبَّهَا. فَتَعَزَّى إِسْحَاقُ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ" (تك24: 67) .

كذلك محبة يعقوب لراحيل وَأَحَبَّ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ فَقَالَ: "أَخْدِمُكَ سَبْعَ سِنِينَ بِرَاحِيلَ ابْنَتِكَ الصُّغْرَى" (تك29: 18). أيضاً محبة ألقانة لزوجته حنة أم صموئيل النبي: "وَأَمَّا حَنَّةُ فَأَعْطَاهَا نَصِيبَ اثْنَيْنِ، لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّ حَنَّةَ. وَلَكِنَّ الرَّبَّ كَانَ قَدْ أَغْلَقَ رَحِمَهَا" (1صم5: 1)، ومحبة أحشويروش الملك لاستير "فَأَحَبَّ الْمَلِكُ أَسْتِيرَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النِّسَاءِ وَوَجَدَتْ نِعْمَةً وَإِحْسَانًا فُدَّامَهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الْعَذَارَى فَوُضِعَ تَاجَ الْمُلْكِ عَلَى رَأْسِهَا وَمَلَكَهَا مَكَانَ وَشْتِي" (اس2: 17).

بل أن السيد المسيح لتأكيد علاقة الحب التي يجب أن تسود الطرفين في سر الزواج، نجده قد حرم الطلاق. فكيف لإنسان يجب عليه أن يحب زوجته كجسده وكما يحب المسيح الكنيسة الذي أسلم نفسه لاجلها؟! كيف لحب مثل هذا أن يُفْرط فيمن يحبه بكل سهولة ولأي سبب؟!.

بل إن الله أراد لعلاقة الحب بين الرجل والمرأة أن تسود وتكون لذلك رباط بينهما بالبنين ورغم أنهم يأخذون جزءاً من محبة والديهم إلا أنهم يكونون سبباً في زيادة الحب بين الوالدين أيضاً وكان إيجاب البنين طاقة حب تدفق للوالدين وتستمر معهم ... وفي هذا شهدت ليئة "فَحَبِلْتُ لَيْئَةً وَوَلَدْتُ ابْنًا وَدَعَيْتُ اسْمَهُ رَأُوبَيْنَ لِأَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ الرَّبَّ قَدْ نَظَرَ إِلَى مَذَلَّتِي. إِنَّهُ الْآنَ يُحِبُّنِي رَجُلِي" (تك 29: 32).

من أجل كل ما سبق يجب علي كل الممارسات الزوجية أن تمارس في حب، قدسية تامة، وفي احترام متبادل.

كما أن الكتاب المقدس لم يقتصر الحب علي الزوج فقط بل نجده ينصح الزوجات أيضاً بأن يكن: "لِكَيْ يَنْصَحَ الْخَدَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحَبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحِبِّنَ أَوْلَادَهُنَّ" (تي 2: 4). فالكتاب المقدس لم يكثر الكلام عن محبة الزوجات لأنه من الطبيعي أن تحب زوجها وأبنائها. لأن هذا هو ما خلقها الله عليه. أنها غريزة جميلة في المرأة بأن تشفق لزوجها وتحب أولادها. حتى بعد السقوط لم يمنع الله علاقة الحب هذه بل خاطب كل الزوجات في كل العصور في شكل أمنا حواء: "وَالْيَ رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيفَاؤُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ" (تك 3: 16).

الحب المتبادل بين الأولاد والديهم.

الحب المتبادل بين الوالدين وأبنائهم ليس في حاجة إلي كلام كثير لأنه مفهوم بالفطرة وبالغريزة. أنه حب زرعه الله داخلنا منذ خلقتنا. ولكن ما مظاهر هذا الحب المتبادل بين الآباء وأبنائهم؟. بمعنى آخر ما هي علامات الحب المسيحية الحقيقية التي يجب أن تسود هذا الحب الأسرى؟.

يمكننا أن نلخص علامات هذا الحب على النحو التالي:

أ -الرعاية الدينية

من أول أولويات الحب بالنسبة للآباء تجاه أبنائهم هي الرعاية الدينية منذ بداية المعمودية المقدسة، والمواظبة على ممارسة سر التناول المقدس وهم في سن الطفولة، مروراً بتعوديهم علي قراءة الكتاب المقدس والصلاة في البيت وذلك بالقدوة أولاً ثم بالتعليم ثانياً.

ب -الرعاية الجسدية

علي الآباء أيضاً رعاية أبنائهم جسدياً كالمأكل والملبس. يجئ تحت الاهتمام الجسدي تعليمهم النظافة والطهارة والقداسة.

ت -الرعاية النفسية

فى ذلك نسمع الكتاب المقدس ينصح الآباء قائلاً: "وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْآبَاءُ، لَا تُغَيِّظُوا أَوْلَادَكُمْ، بَلْ رَبُّوهُمْ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ وَإِنْذَارِهِ" (اف 6: 4)، "أَيُّهَا الْآبَاءُ، لَا تُغَيِّظُوا أَوْلَادَكُمْ لِئَلَّا يَفْشَلُوا" (كو 3: 21). فعدم الإغظة هي الرعاية النفسية. يجب على الآباء أن يتفقدوا أنفسهم فى فترات الشباب والخطوبة وبداية الزواج على كتب علم النفس وكيفية التعامل مع الأبناء فى كل مراحل حياتهم فى سن الطفولة والشباب والمراهقة.

ويجب ملاحظة أن التأديب الذى يقصده الكتاب المقدس هو أن نجعل أبناءنا مؤدبين وذلك من خلال القدوة ومن خلال الحب ومن خلال الرب. علينا تعليمهم الذهاب إلى الكنيسة وتعليمهم السلوك المسيحى. ويكون هناك بعض الحزم المخلوط بالحب.

إن أهم جانب فى الرعاية النفسية هو مفهوم الحوار. يجب علينا أن نصادق أبناءنا. لا نكون بعيدين عنهم ولا نصنع فجوة بيننا وبينهم. بل نتقرب منهم نشركهم معنا فى الأمور المنزلية ولو بالرأى. نتحاور معهم حول المشاكل التى يمكن أن يواجهونها فى مراحل العمر المختلفة وكيفية التغلب عليها.

الرعاية النفسية تتضمن أيضاً عدم التفرقة بين الأبناء لأي سبب بل علينا زرع الحب والتوافق بين الأبناء وليس كما فعل أبونا يعقوب إذ قيل عنه: "وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لِأَنَّهُ ابْنُ

شَيْخُوحَتِهِ فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصاً مُلَوَّناً" (تك 37: 3). وقد تسبب ذلك في كارثة لولا محبة الله التي دائماً تقبل توبتنا ورجوعنا عن أخطائنا.

لذا يجب علي الآباء عدم التمييز بين الأبناء نهائياً سواء بين الولد والبنت أو بين الكبير والصغير أو بين الذكي والأقل ذكاء. يجب أن يراعي الآباء الحالة النفسية لأبنائهم

نسمع أيضاً عن هذه التفرقة في الحب بين الأبناء فيما حدث بين إسحق ورفقة مع عيسو ويعقوب حيث يشهد الكتاب "فَأَحَبَّ إِسْحَاقُ عِيسُوَ لِأَنَّ فِي فَمِهِ صَيْداً وَأَمَّا رِفْقَةُ فَكَانَتْ تُحِبُّ يَعْقُوبَ" (تك 25: 28). وسبب هذه التفرقة في الحب أدت إلي هروب يعقوب وحرمان والديه منه وحرمانه هو منهم.

من الأشياء الغريبة التي نسمع عنها علاقة عدم الحب بين الكنة وحماتها وهذا لم يكن موجود نهائياً منذ بداية الخليقة وخير مثال لنا راعوث وحماتها نُعمي حيث يشهد الكتاب المقدس: "وَيَكُونُ لَكَ لِإِرْجَاعِ نَفْسٍ وَإِعَالَةٍ شَيْبَتِكَ. لِأَنَّ كُنَّتْكِ الَّتِي أَحَبَّتْكَ قَدْ وَلَدَتْهُ، وَهِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ سَبْعَةِ بَنِينَ" (را 4: 15). وكيف أن راعوث هذه في سبيل محبتها لحماتها قد تركت أهلها وعبادتها وذهبت معها إلى أرض لا تعرفها.

كذلك أهل سوسنة التي تزوجت بطوبيا نجاهم ينصحونها بالتالي:"
أوصياها ان تكرم حمويها و تحب بعلمها و تدبر عيالها و تسوس
بيتها و تحفظ نفسها غير ملومة" (طوبيا 10: 1) .

الحب والصداقة

من أمثلة المحبة العظيمة بين الأصدقاء المحبة العميقة بين داود
ويوناثان هذه التي شهد لها الكتاب المقدس "وَكَانَ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلَامِ
مَعَ شَاوُلَ أَنَّ نَفْسَ يُونَاثَانَ تَعَلَّقَتْ بِنَفْسِ دَاوُدَ، وَأَحَبَّهُ يُونَاثَانُ كَنَفْسِهِ"
(1صم 18: 1). ويقول أيضاً: "وَقَطَعَ يُونَاثَانُ وَدَاوُدُ عَهْدًا لِأَنَّهُ أَحَبَّهُ
كَنَفْسِهِ" (1صم 18: 3). وفي رثاء داود ليوناثان نجاهه يشهد قائلاً "قَدْ
تَضَايَقْتُ عَلَيْكَ يَا أَخِي يُونَاثَانُ. كُنْتُ حُلُوءًا لِي جِدًّا. مَحَبَّتُكَ لِي
أَعْجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ النِّسَاءِ" (2صم 1: 26).

❖ أنواع ضارة من المحبة

هناك الكثير من أنواع المحبة الضارة التي تكلم عنها الكتاب المقدس فهي حقيقة لا يصح لنا أن يطلق عليها كلمة "محبة"، لأنه حيث توجد المحبة الحقيقية لا يوجد شيئاً ضاراً، ومحبة مزيفة، أو قد تكون شهوة. من هذه الأنواع علي سبيل المثال لا الحصر:

محبة العالم

يقول الكتاب المقدس: "أَيُّهَا الزَّانَةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلَّهِ" (يع4: 4)، كما يقول أيضاً "لَا تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنَّ أَحَبَّ أَحَدٍ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الْآبِ" (1يو2: 15). وقد ركز القديس يوحنا الحبيب في رسالته الأولى على العالم الشرير ومعناه فنسمعه يقول: "لَأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ شَهْوَةٌ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةُ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمُ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الْآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ" (1يو2: 16). ويقول أيضاً "وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللَّهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ" (1يو2: 17)، وأيضاً يقول "تَعْلَمُ أَنَّنا نَحْنُ مِنَ اللَّهِ، وَالْعَالَمُ كُلُّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشَّرِّيرِ" (1يو5: 19).

من الشواهد السابقة يتبين أن المقصود بالعالم هي شهوات العالم وأركانه الشريرة كما يقول القديس بولس الرسول: "هَكَذَا نَحْنُ أَيْضًا: لَمَّا كُنَّا قَاصِرِينَ كُنَّا مُسْتَعْبِينَ تَحْتَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ" (غل 4: 3). كما يقول: "الَّذِي بَدَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ خَطَايَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْحَاضِرِ الشَّرِيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللَّهِ وَأَيِّينًا" (غل 1: 4) .

ليس المقصود بالعالم هنا لا البشر ولا الكائنات ولا أي شيء من صنع الله. ولكن المقصود بالعالم شهوات العالم وأركانه الشريرة التي هي من صنع الشيطان والبشر بعد السقوط. فنحن البشر مطالبون أن لا نحبها فقط بل أن نبتعد عنها ونكرها أيضاً. لأن محبتها عداوة لله كلى الحب. فمن محبة الله ينصحنا أن لا نكون محبين للعالم، تلك المحبة التي هي عداوة له والتي تفصل البشر عن محبته في هذا العالم وكذلك في الأبدية.

لبيتنا نكره شهوات العالم التي تفصلنا عن محبة الله وتجعل منا أعداء لله، فنكره كل الأفعال والأفكار والكلمات الشريرة من زني وقتل وسرقة...الخ، وأن نكون أنقياء، فأنقياء القلب فقط هم الذين يحبون الله والله يحبهم: "طُوبَى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" (مت 5: 8). فمن أمثلة الذين أحبوا العالم ديماس الذي قال عنه الرسول بولس "لَأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَّنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ وَذَهَبَ إِلَى

تَسْأَلُونِي، وَكَرِيسْكَيْسَ إِلَى غَلَاطِيَّةَ، وَتَيْطُسَ إِلَى دَلْمَاطِيَّةَ" (2تي4: 10).

محبة المال

يجب أن نفرق بين شيئين المال ومحبة المال. فالمال ليس شراً في حد ذاته لأن من خلاله يمكننا اللزمه لحياتنا الروحية فعل أعمال الخير والعطاء والصدقة. لكن محبة المال قال عنها الكتاب المقدس: "لَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلَ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتِغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الْإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ" (1تي6: 10). كما أن الكتاب المقدس ينصحنا ويوصينا قائلاً على لسان بولس الرسول: "لِتَكُنْ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لِأَنَّهُ قَالَ: «لَا أَهْمُكُمْ وَلَا أَتْرُكُكُمْ»" (عب13: 5).

وقد نصح القديس بولس تلميذه الأسقف تيموثاوس أن لا يكون محب للمال "غَيْرَ مُدْمِنٍ الْخَمْرِ، وَلَا ضَرَّابٍ، وَلَا طَامِعٍ بِالرَّيْحِ الْقَبِيحِ، بَلْ حَلِيمًا، غَيْرَ مُخَاصِمٍ، وَلَا مُحِبٍّ لِلْمَالِ" (1تي3: 3).

كما أن السيد المسيح يعلمنا بفمه الطاهر: «مَا أَعْسَرَ دُخُولَ دَوَى الْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!» (مر10: 23)، (لو18: 24). كما يقول في موضع آخر "وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ لِأَنَّكُمْ قَدْ نَلِئْتُمْ عَزَاءَكُمْ" (لو6: 24).

لقد فسرهما السيد المسيح بعد ذلك: "فَتَحَيَّرَ التَّلَامِيذُ مِنْ كَلَامِهِ. فَقَالَ يَسُوعُ أَيْضاً: «يَا بَنِيَّ مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَكَلِّينَ عَلَى الْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!» (مر 10: 24). فالمشكلة ليست في المال بل في الإتيكال عليه ومحبته فيما يجب أن نتكل على الله ونحبه وحده لذا قال السيد المسيح: "لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْقِرَ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ" (مت 6: 24) ، (لو 16: 13).

فى هذا المجال نجد الشاب الغني الذى قيل عنه أن السيد المسيح أحبه لحفظه الوصايا منذ حدثته، ولكن منعه حبه للمال وغناه من تبعية السيد المسيح. كذلك الفريسيون أيضاً كانت محبتهم للمال سبباً في عدم تقبل تعاليم السيد المسيح فقد كتب عنهم: "وَكَانَ الْفَرِّسِيُّونَ أَيْضاً يَسْمَعُونَ هَذَا كُلَّهُ وَهُمْ مُحِبُّونَ لِلْمَالِ فَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ" (لو 16: 14).

إن كيف نتعامل مع المال إذا وجدناه أو كنا نملكه؟!

لنسمع إجابة السيد المسيح: "وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ حَتَّى إِذَا فَنِيْتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَظَالِّ الْأَبَدِيَّةِ... فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَالِ الظُّلْمِ فَمَنْ يَأْتِمُنْكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟" (لو 16: 9 - 11) . ومن أمثلة محبي المال وسوء استخدامه الإبن الأصغر فى مثل الإبن الضال حيث طلب نصيبه من المال وبذره بعيش مصرف.

ويضع الوحي الإلهي على فم القديس بولس محبة المال من الخطايا التي سوف تسيطر على الناس في آخر الأزمنة: "لأنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لَأَنْفُسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ، دَنَسِينَ" (2تي 3: 2). كذلك القديس بطرس الرسول يحذرنا من محبة المال أسوة بما حدث مع بلعام بن بعور الذي أحب أجرة الإثم: "قَدْ تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، فَضَلُّوا تَابِعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بْنِ بَصُورَ الَّذِي أَحَبَّ أَجْرَةَ الْإِثْمِ" (2بط 2: 15).

محبة الذات (الأنانية)

محبة الذات أو محبة النفس يمكن أن تكون بطريقة سليمة وذلك لو وجهنا محبة الذات نحو ما ينفعها لا نحو ما يضرها. فأول شيء يجب أن نحبه به ذواتنا هو أن نساعد أنفسنا للوصول إلى الملكوت حيث البر والفرح والسلام هنا على الأرض وفي الأبدية. كذلك يجب علينا أن نبتعد عن كل ما يسبب أي ألم للنفس وخاصة الخطية التي تبعد السلام عن النفس وتتسبب في أمراض كثيرة لنفوسنا كما لأرواحنا وربما لأجسادنا.

يجب أن نفيد ذواتنا بأن نزرع سلام مع الآخرين وننفتح عليهم ونحبهم ونعمل الخير ونستعمل الكلام الطيب مع الجميع. فالسيد

المسيح ينصحننا قائلاً: "فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا" (مت 16: 25) ، (مر 8: 35) ، (لو 9: 24). السيد المسيح لا يقصد الهلاك هنا بالمعني الحرفي أو المادي لأن " النفس " ليس شيئاً مادياً فالكلمة القبطية واليونانية "ψυχή" تعطي معني الروح أيضاً. فالسيد المسيح يقصد بأنه يجب أن لا ندلل أنفسنا بل ندرّبها علي الصوم والنسك تلك الأشياء التي تسمو بالنفس وتساعد على خلاصها وليس علي هلاكها.

المحبة الخاطئة للنفس تبدأ بالأنانية والطمع ومحبة الإمتلاك، ثم بالتفوق حول الذات والعظمة والكبرياء. والقديس بولس الرسول يتكلم عن تلك المحبة الخاطئة كبداية ومسبب لكل الخطايا الأخرى فجنده يقول عن الناس في آخر الأزمنة: "لَأَنَّ النَّاسَ يَكُونُونَ مُحِبِّينَ لِنَفْسِهِمْ، مُحِبِّينَ لِلْمَالِ، مُتَعَظِّمِينَ، مُسْتَكْبِرِينَ، مُجَدِّفِينَ، غَيْرَ طَائِعِينَ لِوَالِدِيهِمْ، غَيْرَ شَاكِرِينَ، دَنَسِينَ" (2تي 3: 2). وفي موضع آخر يقول: "خَائِنِينَ، مُفْتَحِمِينَ، مُتَصَلِّفِينَ، مُحِبِّينَ لِلذَّاتِ دُونَ مَحَبَّةٍ لِلَّهِ" (2تي 3: 4). فمحبة النفس بطريقة خاطئة تولد فينا الطمع ومحبة المال والكبرياء والتجديف وعدم الطاعة وعدم الشكر بل والدنس.

كما يندرج تحت محبة النفس أو الذات محبة المديح وخير مظهر لها هم الكتبة والفريسيون الذين أعطاهم السيد المسيح الويل قائلاً: "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لِأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الْأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ وَالتَّحِيَّاتِ

في الأسواق" (لو 11: 43). لذلك نرى السيد المسيح يحذر من محبة المديح هذه قائلاً: "وَيْلٌ لَّكُمْ إِذَا قَالَ فِيكُمْ جَمِيعُ النَّاسِ حَسَنًا. لِأَنَّهُ هَكَذَا كَانَ آبَاؤُهُمْ يَفْعَلُونَ بِالْأَنْبِيَاءِ الْكُذْبَةَ" (لو 6: 26).

كذلك وبخ السيد المسيح اليهود الذين لم يؤمنوا به، ويوضح سبب ذلك في قوله: "لَأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللَّهِ" (يو 12: 43). في المقابل نجد الرب يقول عن القديسين في سفر الرؤيا: "وَهُمْ غَلَبُوا بِدَمِ الْحَمَلِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ" (رؤ 12: 11).

المحبة الشهوانية

توجد شعرة بسيطة بين الحب المسيحي وبين الحب الشهواني يجب التفريق بينهما. فالحب المسيحي يفتح على كل الناس ويحبهم جميعاً، أما الحب الشهواني فهو يتفوق حول شخص واحد والحق نقول هو متفوق فقط حول الأنا أو الذات.

الحب المسيحي دائماً يعطي دون أن ينتظر المقابل. عكس ذلك الحب الشهواني الذي يريد أن يأخذ، وأن يمتلك دون أن يعطي. وعندما يشعر الشخص (المحب شهوانياً) بعدم محبة الطرف الآخر له، ينقلب على النقيض تماماً، عكس الحب المسيحي الذي يظل دائماً أبداً موجوداً لا يتأثر بالعوامل الخارجية.

إن غريزة الحب موجودة وموضوعة منذ خلقتنا، ولدنا بها، ونعيشها بالفطرة. فمن الطبيعي جداً أن نحب في أى سن دون أن يكون هناك خطية أو تفكير في الشر. لذا يجب على مجتماعتنا الشرقية أن تهتم بالنصح والإرشاد من خلال كافة المؤسسات، الكنائس، والمدارس، والأسرة، وياحبذا لو كانت هناك مناهج لتعميق مفاهيم الحب وكيفية توجيهها في إتجاه الخير والحب للجميع، لذا يجب علينا توجيه هذا الحب في مساره الصحيح.

يجب أن نعرف أن الإنسان يحب ويعجب بالطرف الآخر سواء كان ذكراً أو أنثى، ربما يحب جماله أو ذكائه أو قوته. لذا يجب علينا ككنيسة وأسرة أن نقوم بالنصح وعدم الخجل في توجيه تلك لمشاعر في مسارها الطبيعي حتي لا تنحرف. يجب أن نوجه طاقات الحب هذه في إتجاه الخير وفعل الصلاح والخير للجميع ودون التقوقع حول شخصية واحدة. يجب أن نوجه طاقات الحب هذه إتجاه الله كلي الحب ومن خلاله وفيه نحب الكل دون تفرقة وخاصة في سن الطفولة والشباب.

ونصيحتي لكل شاب وشابة، وفتى وفتاة بأنه يجب أن لا يكون بداخله أسرار يخجل أن يبوح بها لوالديه أو لأباء الاعتراف أو للمرشدين، فنحن ما زلنا في دور التعلم، يجب أن نعترف أن الكبار أكثر منا خبرة. ونصيحتي لهم أيضاً أن يتقربوا أكثر من الحب

الحقيقي الذي هو الرب يسوع ويبادلونه الحب وسوف لا يحتاجون بعد ذلك لأى حب خارجي بل سوف ينشرون حب الرب يسوع للجميع.

كما أن نصيحتى أيضاً للكبار من الوالدين، وآباء الاعتراف، والمرشدين الروحيين، يجب أن تفتحوا أكثر علي أبنائكم . يجب أيضاً أن تقتنعوا بمبدأ الحوار، وأن تسمعوا أولادكم ولا ترفضوا عليهم شيئاً، بل أستخدموا أسلوب الأقتناع. يجب عليكم أن تصادقوا وتصاحبوا أولادكم بدلاً من أن يختاروا أصدقاءهم بعيداً عن دائرة الكنيسة والمجتمع الملتزم. يجب أن تُظهروا لأولادكم عاطفة الحب بدلاً من أن يبحث عنها خارجاً، أعطوا أولادكم ذاتهم التي يريدونها بأن تجعلوا منهم أعضاء نافعة في البيت في الكنيسة وفي المجتمع.

ما يجعل ذلك الحب الفطرى ينقلب إلى حب شهوانى هى الذات أو الأننا. فتملك طرف للطرف الآخر هو ما ينحرف بالحب إلى طريق وعرة. فليس العيب في الحب الفطرى بل العيب في الشهوة والأننا والذات التي تنحرف بذلك الحب. فليس من العيب أن نحب ونعجب بأى شخص في أي فترة من فترات حياتنا لأنه يجب ذلك فالإنسان يعيش بالحب، ولكن يجب أن نفهم ذلك الحب الفهم الحقيقي يجب أن نستشير من هم أكبر منا ومرشدينا وآباء اعترافنا حتي نفهم ماهية الحب الحقيقي وكيفية توجيهه. والحق أقول إن الإنسان الذي له علاقة قوية بالله من خلال الصلاة وقراءة الكتاب المقدس والتناول من

الأسرار المحيية سوف يعرف تماماً كيف يوجه الحب توجهاً سليماً ولا يمكن أن ينحرف به. ويؤسفني أن أقول أن كل من يعاني من هذا الحب المرضى وخاصة في فترات ما قبل سن الخطوبة والزواج هم الذين لم يتذوقوا حلاوة السيد المسيح كلى الحب ولم يشبعوا منه.

إن كنا نريد حلاً لمشكلة الحب المرضى هذا علينا بتوجيه طاقات الحب في أبنائنا تجاه الله كلى الحب ومن حبه سوف يحبون الكل دون تمييز أو تفرقة. ولنا من الأمثلة الكثير من ذلك الحب الشهواني الذي تسبب في نتائج بشعة مثلما حدث مع أمنون واشتهى اخته ثامار باسم الحب وبعد أن أذلها نجده يكرهها بكمية أكبر مما كان يحبها. ففي بداية القصة يقول الكتاب: "وَجَرَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَأَبْشَالُومَ بْنِ دَاوُدَ أُخْتُ جَمِيلَةٌ اسْمُهَا ثَامَارُ، فَأَحَبَّهَا أَمْنُونُ بْنُ دَاوُدَ" (2صم 13: 1). ومرض بسبب هذا الحب فجاء أحد أصدقائه يقول له: "فَقَالَ لَهُ: «لِمَذَا يَا ابْنَ الْمَلِكِ أَنْتَ ضَعِيفٌ هَكَذَا مِنْ صَبَاحٍ إِلَى صَبَاحٍ؟ أَمَا تُخْبِرُنِي؟» فَقَالَ لَهُ أَمْنُونُ: «إِنِّي أُحِبُّ ثَامَارَ أُخْتَ أَبْشَالُومَ أَخِي»" (2صم 13: 4). فيقول الكتاب بعد أن أذل أمنون ثامار: "ثُمَّ أَبْغَضَهَا أَمْنُونُ بُغْضَةً شَدِيدَةً جِدًّا حَتَّى إِنَّ الْبُغْضَةَ الَّتِي أَبْغَضَهَا إِيَّاهَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَحَبَّهَا إِيَّاهَا. وَقَالَ لَهَا أَمْنُونُ: «قُومِي انْطَلِقِي!»" (2صم 13: 15) .

إن مثل هذا الحب لا ينتمي للفظ الحب بالمرة، فالحب مستمر والحب لا يصنع شراً بمن نحب والحب له أصوله وأوقاته المناسبة. كذلك شمشون أيضاً نتيجة لهذا الحب الشهواني قد خلع الأعداء عينيه وسخروه وسخروا منه، فقد كُتب عنه: "وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَحَبَّ امْرَأَةً فِي وَادِي سَوْرَقَ اسْمُهَا دَلِيلَةُ" (قض 16: 4).

حب شمشون يوضح الخطورة التي يمكن أن تلحق بشبابنا وشباتنا الذي يمكن للشيطان باسم الحب أن يخدعهم وتكون النتيجة استهزاؤهم وسيطرته عليهم وقلع أعينهم الروحية وابتعادهم عن السيد المسيح مصدر الحب.

مثال آخر سبق شمشون وسبق أمنون، وذلك في قصة دينة ابنة يعقوب وقد أحبها شكيم بن حمور وقد كتب عنه سفر التكوين "وَتَعَلَّقَتْ نَفْسُهُ بِدِينَةَ ابْنَةِ يَعْقُوبَ وَأَحَبَّ الْفَتَاةَ وَلَاطَفَهَا" (تك 34: 3). وماذا كانت نتيجة ذلك الذي نسميه ظلماً "حبا"؟! قد دفعت مدينة شكيم بأكملها ثمن ذلك الحب المزيف. يجب أن نضبط عواطفنا من البداية ولا نجعلها تسوقنا بل علينا أن نملك حرية وقوة الإرادة. وإن لم نكن نملكها فعلينا الإلتجاء إلى الله القادر على كل شيء وإلى وكلائه ومرشدينا وأولياء أمورنا لنأخذ النصح والإرشاد من البداية وليس بعد أن نذهب بعيداً.

فى سفر التكوين نسمع عن امرأة فوطيفار وما فعلته مع يوسف، هل كان حباً منها؟! السؤال بطريقة أخرى من كان يحب من؟! امرأة فوطيفار تلك التى من أجل شهوتها أدخلت يوسف السجن واتهمته بالكذب. أم يوسف الذى حافظ عليها من نفسها ولم يدافع عن نفسه متهماً إياها، حتى عندما ارتفع علي مصر لم نسمع أنه انتقم منها.

ليتنا نتمثل بيوسف الصديق هذا الذى كان يحب فعلاً ليس هذا الحب الشهواني الذى لا يدوم بل ذلك الحب الدائم الذى يشعر دائماً بحضور من يحب فيخجل من أن يخطئ إليه: "لَيْسَ هُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَكْثَمَ مِنِّي. وَلَمْ يُمَسِّكْ عَنِّي شَيْئاً غَيْرَكَ لِأَنَّكَ امْرَأَتُهُ. فَكَيْفَ أَصْنَعُ هَذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللَّهِ؟" (تك 39: 9). كذلك داود النبي العظيم نتيجة لتلك الشهوة وقع فى خطية الزنا كما فى خطية القتل، كما فى خطية الخيانة واستحق عقاب الله لولا إتضاعه وتوبته ودموعه. كذلك سليمان أيضاً، ذلك الملك الحكيم قال عنه الكتاب فى بداية ملكه: "وَأَحَبَّ سُلَيْمَانُ الرَّبَّ سَائِرَ فِي فَرَائِضِ دَاوُدَ أَبِيهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَذْبَحُ وَيُقَدِّ فِي الْمُرْتَفَعَاتِ" (1مل 3: 3). لكن ماذا حدث بعد ذلك؟! يقول الكتاب: "وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ: مُوَابِيَّاتٍ وَعَمُونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصَيْدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ... مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لَا تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لَأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ. فَالْتَصِقَ سُلَيْمَانُ بِهَوَلَاءَ بِالْمَحَبَّةِ" (1مل 11: 1-2). فماذا فعلت به تلك التى تُسمى

زوراً باسم الحب ؟! يقول الكتاب "أَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ أَخْطَأَ سُلَيْمَانُ
مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأُمَمِ الْكَثِيرَةِ مَلِكٌ مِثْلَهُ وَكَانَ مَحْبُوباً إِلَى
إِلَهِهِ فَجَعَلَهُ اللَّهُ مَلِكاً عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ. هُوَ أَيْضاً جَعَلَتْهُ النِّسَاءُ
الْأَجْنَبِيَّاتُ يُخْطِئُ" (نح: 13: 26).

إن تلك المحبة المزيفة جعلت من سليمان الملك الذي كان حكيماً يفقد
حكمته ويعبد آلهة زوجاته ويُخطئ إلى الرب إلهه، ولولا رحمة الله
ومحبته لما استطاع سليمان أن يرجع ويتوب ويعرف أن باطل
الآباطيل الكل باطل. وقد تكلم كثيراً سليمان الحكيم عن المرأة
الأجنبية ووجوب الابتعاد عنها فنجده يقول في أسفاره الشعرية: "لَأَنَّ
شَفَنِي الْمَرْأَةَ الْأَجْنَبِيَّةَ تَقْطُرَانِ عَسَلًا وَحَنَكُهَا أَنْعَمُ مِنَ الزَّيْتِ، لَكِنَّ
عَاقِبَتَهَا مَرْءٌ كَالْأَفْسَنْتَيْنِ. حَادَّةٌ كَسَيْفِ ذِي حَدَّيْنِ" (ام: 5: 3، 4). لكني
أود أن أقول لكل شاب أو شابة واقع تحت ثقل هذا الحب الشهواني
مهما كان الموقف صعب أو خطير أو مستحيل. أود أن أقول أنه
ليس هناك مستحيل عندما يوجد من يحبنا وهو الرب يسوع.

كل المشكلة هو أن العاطفة عند البعض بكمية أكبر فبدلاً من
استغلالها استغلالاً سليماً نجدها انحرفاً بها، ربما بسبب البعد عن
مصدر الحب الحقيقي وهو السيد المسيح. فبعدنا عن بيته (الكنيسة)،
بعدنا عن صوته في الكتاب المقدس، والتحدث معه من خلال
الصلاة. لذا بحثنا عن الحب في أماكن أخرى كما قال النبي إرميا

على لسان الرب الإله: "لَأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرًّا: تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ لِيَنْفُزُوا لَأَنْفُسِهِمْ آبَارًا آبَارًا مُشَقَّقَةً لَا تَضْبُطُ مَاءً" (ار2: 13).

المحبة المفرطة

من المعروف أن أي شيء إن زاد عن حده إنقلب لضده كما يقول الكتاب المقدس كمثال "لَا تَكُنْ بَارًّا كَثِيرًا وَلَا تَكُنْ حَكِيمًا بَزِيَادَةٍ. لِمَاذَا تَحْرِبُ نَفْسَكَ؟" (جا7: 16). والأمثلة علي ذلك كثيرة أم تحب إنها أكثر من الواجب فنجدها تدلله بزيادة فتضره، مثال أب يحب أولاده فيغدق عليهم المال بلا حساب فيكون السبب في فسادهم. أسرة تحب أولادها فتحرمهم من الصوم خوفاً من ضعفهم فينمو الأولاد لا يحبون الصوم أو الكنيسة. مثال أب يخاف علي ابنه من أن يسلك في الرهبة لكي لا يبعد عنه، فيبعده من البداية عن الكنيسة.

كل هذه الأنواع من المحبة المفرطة محبة ضارة لأنها لا تفيد من نحبهم بل تضرهم. لذا نجد السيد المسيح يقول بفمه الطاهر: "مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي" (مت10: 37). بالطبع السيد المسيح لا يرفض المحبة المتبادلة في الأسرة ولكنه يرفض المحبة المفرطة التي تزيد علي محبة الله فتضر من نحبهم بدلاً من أن تفيدهم.

إن المحبة الحقيقية التي يجب أن تكون لدينا هي المحبة من خلال الله وتكون هدفها توصيل من نحبهم إلى الله مصدر الحب. فالأب والأم، والأسرة كلها إن كانت تحب أبناءها فلتحبهم محبة حقيقية لتنشئهم وتربيتهم على محبة الله ومحبة بيته، الكنيسة، ومحبة كلامه بالكتاب المقدس، ومحبة أي ممارسات روحية يمكنها أن توصل إلينا محبة الله مثل الصلاة والصوم. ويكون ذلك بالقنوة قبل أن يكون بالتعليم.

يجب أن نغرس من نحبهم منذ صغرهم في الكنيسة ونعلمهم الألحان والتسبحة ونسعى في سيامتهم ضمن قطيع الشماسية لكي يكونوا غروس جدد في بيت الله. نعلمهم الإعتراف والتناول وأسرار الكنيسة التي هي أمهم. فكما قال أحد القديسين: "من لم تكن الكنيسة أمه فلا يكون الله أبيه".

أنواع أخرى من المحبة الضارة

من الأنواع الأخرى من المحبة الضارة ما قاله السيد المسيح عن الكتبة والفريسيين "وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلَا تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشُّوَارِعِ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ!" (مت 6: 5) . ويقول أيضاً: "وَيُحِبُّونَ الْمُتَنَكِّأَ الْأَوَّلَ فِي الْوَلَائِمِ وَالْمَجَالِسِ الْأُولَى فِي الْمَجَامِعِ"

(مت 23: 6). ويؤكد الرب يسوع أيضاً: "وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيسِيُّونَ لَأَنَّكُمْ تَحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الْأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ وَالتَّحِيَّاتِ فِي الْأَسْوَاقِ" (لو 11: 43) ، (لو 20: 46).

إن هولاء قال عنهم السيد المسيح: "لَأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللَّهِ" (يو 12: 43). لذلك نجد من أنواع المحبة الضارة محبة الأولوية مثل ديوتريفس الذي قال عنه بولس الرسول: "كَتَبْتُ إِلَى الْكَنِيسَةِ، وَلَكِنَّ دِيوتْرِيفِسَ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلَ بَيْنَهُمْ لَا يَقْبَلُنَا" (3يو 1: 9).

من أنواع المحبة الضارة محبة الخصام التي قال عنها بولس الرسول: "وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُحِبُّ الْخِصَامَ فَلَيْسَ لَنَا نَحْنُ عَادَةً مِثْلُ هَذِهِ وَلَا لِكَنَائِسِ اللَّهِ" (1كو 11: 16).

عزيزي القارئ: هناك عدة أمور منها ما قد يعطل النمو في المحبة بين الإنسان والله، والإنسان وأخيه الإنسان. من هذه المعطلات تأخذ على سبيل المثال: الخطية - المشغولية - الذاتية . فالخطية يقول عنها الكتاب المقدس: "وَلَكِنَّتِ الْإِنَّمُ تَبْرُدُ مَحَبَّةَ الْكَثِيرِينَ" (مت 24: 12). كما يقول أيضاً: "وَهَذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِيرَةً" (يو 3: 19). فبينما نجد أن الخطية تعوق المحبة، نجد أن التوبة تنميها وتزيدها.

